قافلة الزيت

شعبان ١٣٨٤
ديسمبر ١٩٦٤ - يناير ١٩٦٥



هذه المعجمات

سمعت بأن مؤسسة نشر اجنبية – ولعلها امريكية – عزمت على اخراج قاموس ويبستر الانجليزي بطريقة جديدة ، اي بجعل مفرداته عربية ، ليكون قاموسا عربيا انجليزيا ، وان هذه المؤسسة قد عهدت او ستعهد الى نخبة من العلماء والأدباء في الشرق العربي بالاضطلاع بهذا العمل الجليل . ولا يعنيني من هذا الامر صحة النبأ من عدمه ، ولكن الذي يعنيني حقا هو الفكرة النبيلة والفائدة المحققة من هذا المشروع ان صح النبأ ، فليس في طبيعة هـذه التجربة ما يدعو الى الشك . فقد سبق هذا المشروع مشروع آخر ظهر الى الوجود حـديثا ، وكان حـدثا بارزا لقي تقديرا جما من المشتغلين في حقلي اللغة العربية والانجليزية ، واعني به «قاموس لغـة الكتـابة العربية الحـديثة» وهي ترجمة لعنوانه الانجليزي (A Dictionary of Modern Written Arabic).

لهذا القاموس قصة طريفة . ذلك ان منشأه ألماني ، توفر على تأليفه اللغوي الالماني «هانس ويبر» وأراد منه ان يكون قاموسا عربيا ألمانيا يضم احدث المصطلحات العربية . وقد قضى في جمعه وتأليفه سنين طويلة خلال فترة الحرب الاخيرة ثم ظهر بعيد انتهاء الحرب . وتبنته بعد ظهوره لجنة امريكية لنشر اللغات واتفقت مع مؤلفه على وضع الشرح الانجليزي موضع الشرح الالماني . واختارت للعمل معه استاذا امريكيا متخصصا في اللغة العربية هو «ملتون كوان» . ولم يكتف هذان العالمان بمجرد استبدال هذه اللغة بتلك ، بل وضعا نصب اعينهما ان تكون الطبعة الانجليزية اوفى من الالمانية بالمفردات العربية .

ولكي يعلم القارىء مدى الجهد الذي بذل في اعداد هذا القاموس في طبعته العربية–الالمانية ، يكفيه ان يعلم ان المؤلف لم يبدأ في تصنيفه الا بعد ان اتم جمع خمسة واربعين الفا من المفردات وتراكيبها ، ثم اضاف اثناء التصنيف طائفة اخرى من المفردات ثم اخرج بعد ذلك ملحقا لهذا العمل الكبير . وهو عمل كبير تعاونت عليه أيد كثيرة ووقفت عليه مجهودات ضخمة .

على ان الذي يثلج الصدر في الطبعة العربية–الانجليزية انها جاءت شاملة للكثير من الكلمات والمصطلحات الحديثة بل جاءت اشمل من الاصل لأن الجهد الذي انفق فيه انما انفق في سعة وتفرغ وسكون ، لا كما حدث لسابقه الذي لابسته ظروف عصيبة من ويـلات الحرب واعبائها . والشيء الآخر انك لا تنشد معنى كلمة الا وتجدها في مختلف تراكيبها واستعمالاتها .

هذه الكلمة لم يقصد بها الاعلان للترويج ، فلست مكلفا بذلك ولم يكن هذا غاية ما اقصده من الحديث عن هذا القاموس . انما توخيت الاشارة الى جانب من النشاط العلمي الذي يضطلع به في لغتنا العربية قوم غرباء عن هذه اللغـة ، واعني بهم المستشرقين . وليس همي ان اشيد اشادة خـاصة بمجهودهم في حقل الادب والعلم العربيين ، فهذا قد نوه به كثير من الكتاب والدارسين العرب ، وما اثبتته آثارهم منذ القرن الثامن عشر . ولئن كان في بعضهم شطط – وقد كان – فان مجهودهم بعد هذا كله لا يضارع . والحديث عن هذا يطول ولعل له مناسبة اخرى .

انما الذي اريد ان اخلص اليه الآن هو حقيقة واحدة مؤلمة تدعو الى التفكير . ذلك ان العرب كان لهم باع طويل في وضع القواميس ، بل لعله لم يعادلهم في زمنهم اي امة اخرى في هذا المضمار . وكانت المعجمات العربية وافية شاملة لم تقتصر على اللغة فحسب بل تعدتها الى معالجة الاماكن وسير مشاهير الرجال ، وفي المضمار الاخير – اعني السير – فلعلهم كانوا السابقين الى وضع هـذا النوع من التأليف الذي يعرف الآن في الانجليزية باسـم «Who Is Who» .

ونظرة الآن في النشاط التأليفي المعجمي حاضرا فلا ترى شيئا يدنو الى ذلك الانتاج الضخم رغم ما تسعفنا به وسائل العلم الحديث تسجيلا وتبويبا وطباعة ، مما كان مفقودا حينذاك كل الفقدان ، ورغم ان جهود العلمـاء والادباء العرب فيما سبق كانت جهودا فردية ولم تكن لديهم مؤسسات او لجان تتولى تلك الاعمال الضخمة كما هو الحال الآن في عالمنا العربي الكبير . ولا اظن ان اولئك السابقين الخالدين كانوا احوج منا الآن الى وضع المعجمات في كل فن من فنون الادب والفن والصناعة ، بل ان حاجتنا الآن اشد منها في اي وقت فات .

لقد حقق الاسلاف الكثير ، وعسى ان نكون على آثارهم مقتدين .

سيف الدين عاشور

في هذا العدد

الصفحة

صورة الغلاف

ارساء ناقلة زيت في فرضة رأس تنورة – المملكة العربية السعودية.

تصوير : والترز

قافلة الزيت

تصدر شهريا عن : شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفي الشركة – توزع مجانا

العدد الثامن — المجلد الثاني عشر

مديرها ورئيس تحريرها سيف الدين عاشور

المحرر المساعد فؤاد البرلسي

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ ، الظهران ، المملكة العربية السعودية

طبعت في مطابع المطوع

تفجر السكان وموارد الطعام

بقلم الدكتور فؤاد صروف

اذا نجا الانسان على الارض ، زمنا مديدا ، من تفجّر شمسي يمحق الارض ومن عليها ، واذا صان نفسه من تطور عضوي او اجتماعي يسلبه خصائصه او بعض خصائصه الرئيسية ، كنوع غالب من انواع الاحياء ، واذا اعتمد على العقل في تجنّب الدمار والتلوّث النووي ، فالمشكلة الضخمة التي ينبغي له ان يواجهها هي مشكلة ازدياد السكان ازديادا متسارعا وعواقب هذا الازدياد .

فقد بلغ هذا الازدياد من السرعة ، ومن مجانبته لما تمّ في هذا الباب الى عهد قريب ، مبلغا يدخل هذه القضية في صميم كل تفكير في مستقبل الانسان على الارض . فعدد سكان الأرض بلغ ٥٠٠ مليون في سنة ١٦٥٠ و ٧٠٠ مليون في سنة ١٧٥٠ ، وزاد على ألف مليون سنة ١٨٥٠ وبلغ ٢٤٠٠ مليون سنة ١٩٥٠ ، وهو اليوم في حدود ثلاثة آلاف مليون نفس ، او نحوها ، فاذا ظل معدل الوفيات آخذا في النقصان ، ومعدل المواليد على حاله ، فلا يكاد القرن العشرون يشرف على نهايته حتى يتضاعف هذا العدد مرة اخرى ، او قد يفوق الضعف ، فيصير في حدود سبعة آلاف مليون ، ويقدر له ان يبلغ ثلاثة عشر ألف مليون في منتصف القرن الحادي والعشرين .

هذا التقدير الاحصائي مبني على ان معدل الزيادة سيبقى كما هو الآن او يزداد قليلا ، لان جميع الدلائل تدل الآن على انه يميل الى الزيادة . فقد زاد عدد سكان الارض في الفترة بين منتصف القرن التاسع عشر وآخره ، بمعدل ستة في المئة ، كل عقد من السنين ، وسبعة في المئة بين ١٩٠٠ و ١٩٣٠ كل عقد من السنين ، وعشرة في المئة بين ١٩٣٠ و ١٩٥٠ كل عقد من السنين ، وارتفع في العقد الاخير الى سبعة عشر في المئة او اكثر قليلا . وقد جاء في الكتاب السنوي لاحصاء السكان الصادر عن الامم المتحدة ان عدد سكان الارض كان ٢٠٠٨ ملايين سنة ١٩٥٨ وان الزيادة السنوية تبلغ ١٫٧ (واحداً وسبعة اعشار) في المئة او سبعة عشر في المئة في عشر سنوات ، كما تقدم ، ورقم الزيادة ٥٠ مليون في السنة وهو يعدل عدد سكان فرنسا ، وقد يرتفع في مستقبل غير بعيد الى ٧٥ مليون نفس في السنة . وعلى انه من المتوقع ان يمضي ازدياد السكان الى حد يقف عنده ، قبل البدء في النقصان ، فليس ثمة ما يدل على انه بلغ الذروة ، بل يشير الاحتمال الاحصائي الى ان معدل الزيادة قد يفوق في العقدين المقبلين ما يقابله في العقدين الماضيين . وحتى اذا اخذ معدل الزيادة في النقصان فلا بد من ان تمر فترة طويلة قبل بلوغ التوازن ، يكون سكان الارض خلالها قد زادوا زيادة كبيرة .

ومرد هذه الزيادة على الاكثر ، ليس الى زيادة معدل المواليد ، بل الى التقدم العظيم في السيطرة على الامراض وبخاصة المعدية والوبائية ، وتحسين احوال الصحة العامة ، مما افضى الى نقص معدل الوفيات ، نقصا عظيما ، وهو تقدم لم يزل مطّردا منذ اوائل هذا القرن ، ولكنه ازداد سرعة ونطاقا منذ اواسط العقد الرابع من هذا القرن .

والا نكاد نذكر موضوع زيادة السكان ، حتى يتبادر الى الذهن اسم ماليوس الاقتصادي الانكليزي الذي نشر قبل قرن ونصف قرن او اكثر قليلا (١٧٩٩) رسالته المشهورة في هذا الموضوع ، وذهب فيها الى ان ازدياد السكان ، يميل الى الازدياد زيادة هندسية ، تفوق التزايد في موارد الطعام ، ومن اجل ذلك فانه تنبأ بيوم تقع فيه مجاعة عامة في أوربا . وقد ظل حتى ايامه الاخيرة شديد التشاؤم بمستقبل البشر على الارض . ولما نشر الطبعة الثانية من رسالته اعترف بوجود «كابح ادبي» قد يحد من ازدياد السكان ، وعنى بذلك تأخير سنّ الزواج ، والكبت للحدّ من اخلاف النسل ، ولكنه قضى وهو يعتقد ان الانسان غير خليق بأن يحد من ازدياد النسل بالاعتماد على هذا الكابح او الكابت وحده .

ولكن كارثة المجاعة التي توقعها مالثوس ، لم تقع ، بل على الضد زاد سكان أوربا منذ عهده زيادة كبيرة ، تتعدى الحد الذي تقع المجاعة عنده في حسبانه ، ومع ذلك فقد ارتفع مستوى العيش ، وتقلص ظل الفاقة ، وذلك يعود الى التقدم الزاخر في تطبيق العلوم والاساليب التقنية على الزراعة وانتاج الطعام ، وارتقاء الصناعة . فمال عدد من الكتاب الى رمي مالثوس بالتفكير المضطرب والرعونة في محاولة التنبؤ بمستقبل الانسان . (البقية على الصفحة ٤٤)

العقاد ذكرى وتقدير

بقلم الاستاذ علي أدهم

عرفت العقاد كاتبا ألمعيا ، وناقدا نافذ النظرات ، سديد الاحكام ، وشاعرا مجددا يجمع بين قوة العاطفة وعمق الفكرة ، قبل ان ارى طلعته المهيبة الوقور ، واستمع الى احاديثه الحافلة بألوان المعرفة ، وسري الآراء واللمحات ، وأنعم بصداقته وما بها من متاع للقلب وغذاء للروح ، وأظفر بجميل تقديره ، وكريم تشجيعه ، وغالي ثقته ومودته .

وكان اول ما طالعني اسم العقاد وما قرأت له في مجلة « البيان » التي اصدرها الكاتب الاديب المرحوم الاستاذ عبد الرحمن البرقوقي في سنة ١٩١١ وكنت حينذاك في آخر مراحل الدراسة الابتدائية ، وكان اول مقال اجتذب انتباهي ولفت نظري هو الفصل القيم الذي كتبه العقاد في نقد نظريات جوستاف ليبون التي اشتمل عليها كتابه « سر تطور الامم » ، وقد نقله الى اللغة العربية المرحوم فتحي باشا زغلول .

وكانت مجلة البيان تمتاز على سائر المجلات المعاصرة لها بعنايتها بمتانة الاسلوب وبلاغته ، والاكثار من ترجمة عيون الادب الغربي ، وكان يشترك في تحريرها المرحوم محمد السباعي ، وقد نشر بها ترجمته لكتاب الابطال لتوماس كارلايل ومقـالات اديسون وستيل وغير ذلك من كتبه المترجمة التي امتـازت بعلو الاسلوب وقوة الاداء ، وكان المرحوم البرقوقي يوصي كتـاب مجلته بما كان يسميه « شرف الديباجة » أي متانة الاسلوب وبلاغته ، ويظهر انه كان رحمه الله يلح على الكتّاب في هذا الطلب فأطلقوا عليه من قبيل الفكاهة اسم « الشيخ شرف الديباجة » واختصره بعضهم فكان يدعوه بالشيخ « شرف » .

وكانت مجلة البيان في سنواتها الباكرة مجالا لاقلام العقاد والمازني وشكري وهيكل وطه حسين ولطفي جمعة وعباس حافظ وغيرهم ممن كان يرضى صاحبها عن اسلوبهم ، فقد كان شديد التدقيق في تذوق اساليب الكتّاب .

وظهر في سنة ١٩١٣ الجزء الثاني من ديوان عبد الرحمن شكري وفيه مقدمة قيمة بقلم الاستاذ العقاد عن الشعر ومزاياه يقول في مستهلها عن الشعر « ليس الشعر لغوا تهذي به القرائح فتتلقاه العقول في ساع كلالها وفتورها ، فلو كان كذلك لما كان له هذا الشأن في حياة الناس ، لا بل الشعر حقيقة الحقائق ولب اللباب والجوهر الصميم من كل ما له ظاهر في متناول الحواس والعقول ، وهو ترجمان النفس والناقل الامين عن لسانها » . وأعجبني هذا التقدير العالي للشعر ، وقرأت الديوان في ضوء الآراء التي بثها العقاد في هذه المقدمة النفيسة ، ووجدت فيه كما قال العقاد « نظرة المتدبر ، وسجدة العابد ، ولمحة العاشق ، وزفرة المتوجع ، وصيحة الغاضب ، ودمعة الحزين ، وابتسامة السخر ، وبشاشة الرضى ، وعبوسة السخط ، وفتور اليأس ، وحرارة الرجاء » .

وقد بعثني ذلك على ان ابحث عن كتب اخرى للعقاد ، فوقع في يدي كتاب له صغير الحجم ولكنه كبير القيمة وهو كتاب « خلاصة اليومية » ويشمل اقوالا وملاحظات في الادب والاخلاق والاجتماع والاقتصاد مأخوذة من مذكرات صاحبها ، وهذا الكتاب المبكر يبين لنا في صورة مصغرة مختلف جوانب العقاد الفكرية ، ففيه تظهر شاعرية العقاد ، وملكته الناقدة ، وبذور قدرته على كتابة التراجم ، كما يظهر فيه العقاد الكاتب الاجتماعي والمفكر الفيلسوف .

وفي خلال هذه الفترة انتقلت الى مرحلة الدراسة الثانوية بمدرسة رأس التين بالاسكندرية ، وفي السنة الدراسية ١٩١٣/١٩١٤ كان الاستاذ عبد الرحمن شكري يدرس التاريخ والجغرافيا للفصل الذي كنت احد تلامذته ، ومن ذلك الحين توثقت العلاقات بيني وبينه رحمه الله ، وكنت بعد انتهاء الدرس اجاذبه مع بعض زملائي من الطلبة احاديث الادب والادباء والكتابة والكتّاب والشعر والشعراء ونفيد من توجيهاته وملاحظاته ، وبطبيعة الحال كان ادب العقاد والمازني في طليعة الموضوعات التي يدور حولها الحديث ، وكان شكري يثني على العقاد بوجه خاص ، ويقول لنا انه عبقري ، وقد غشيت سماء صداقتهما بعد ذلك بعض السحب ، وكان موقف العقاد في تلك الخصومة العارضة غاية في كرم السجية ونبل الاخلاق ، ولم اسمع منه حتى في ابان احتدام الخصومة واشتداد الاختلاف اي انتقاص لادب شكري او لشخصيته ، والواقع ان الخصومة كانت بين شكري والمازني ، ولكن الاستاذ شكري اقحم فيها العقاد لاعتقاده ان المازني لم يجترىء على مهاجمته الا وهو محتم بحمى العقاد ولائذ به ، وقد زالت هذه الخصومة في ايامهم الاخيرة ، ورثى العقاد شكري عند وفاته رثاء مؤثرا ، وكتب عنه مثنيا على ادبه مقدرا لمكانته .

وشاءت ظروفي العائلية ان اكمل دراستي الثانوية بالمدرسة الخديوية ، فانتقلت في سنة ١٩١٤ الى القاهرة ، وأمضيت بها سنتين كنت في خلالهما اتابع ما يكتبه من كنّا ندعوهم زعماء المدرسة الحديثة في الادب ، وهم العقاد وشكري والمازني ، وظهر الجزء الاول من ديوان

المازني ، وفيه مقدمة رائعة بقلم العقاد عنوانها «الطبع والتقليد» يقول في اولها «حسب بعض الشعراء اليوم انه ليس على احدهم ان اراد ان يكون شاعرا عصريا الا ان يرجع الى شعر العرب بالتحدي والمعارضة ، فان كانت العرب تصف الابل والخيام والبقاع ، وصف هو البخار والمعاهد والامصار ، وان كانوا يشببون في اشعارهم بدعد ولبنى والرباب ذكر هو اسما من اسماء نساء اليوم ، ثم يحور من تشبيهاتهم ، ويغير مجازاتهم بما يناسب هذا التحدي ، فيقال حينئذ ان الشاعر مبتدع عصري ، وليس بمقلد قديم . وهذا حسبان خطأ ، فما ابعد هذا الشعر عن الابتداع ، والاخلق به ان يسمى الابتداع التقليدي ، لانه ضرب من ضروب التقليد فلولا ان شاعرا سبق هؤلاء الشعراء لما استطاعوا ان يعارضوه . »

وعدت الى الاسكندرية في صيف سنة ١٩١٦ وكان قد ظهر الجزء الاول من ديوان العقاد الذي اسماه في الطبعات التالية «يقظة الصباح» فقرأته بعناية واهتمام ، وأذكر اني ادمنت قراءته حتى استظهرت اكثر قصائده ، وراقني منها بوجه خاص قصيدة «وقفة في الصحراء» ، وقصيدة «العقاب الهرم» وقصيدة «كولومب في الاوقيانوس» وقد امتازت قصائد هذا الديوان بما كان يسميه العقاد «الوحدة العضوية» فكانت القصيدة تقوم على موضوع واحد تتناوله من شتى نواحيه ، في وحدة مسلسلة ، وترابط يكاد يكون منطقيا ، على خلاف ما ألفناه في الشعر القديم وفي شعر الشعراء الذين كانوا يتبعون في نظم قصائدهم طرائق القدماء . وقد اعجبتني هذه الطريقة في ديوان شكري وديوان المازني وديوان العقاد ، ولا نزاع في انهم تأثروا بأدب الغرب في اتباع هذه الطريقة وبخاصة في العهد الذي ساد فيه الادب الرومانسي . ورغم اني قضيت عامين في القاهرة لم يتح لي لقاء العقاد ، وحال بيني وبين السعي الى لقائه ، على ما يبدو لي ، انشغالي باتمام مرحلة التعليم الثانوي وما يغلب على طبعي من الحياء وايثار العزلة .

وفي الاسكندرية كنت اجتمع من الحين الى الحين في مقهى هليوبوليس — وكان مجاورا لقهوة فرنسا المشهورة — بجماعة من الادباء والشعراء الاسكندريين في طليعتهم الاستاذ عبد الرحمن شكري والشعراء المجيدون الاستاذ عبد اللطيف النشار والمرحوم الاستاذ زكريا جزارين والمرحوم الاستاذ عثمان حلمي والشاعران المحاميان المرحومان الاستاذ حسن فهمي والاستاذ عبد الحميد السنوسي ، وتدور اكثر احاديثنا عن شتى موضوعات الادب وما قرأنا حديثا من الكتب ، وفي احدى ليالي الصيف القمراء اخذت طريقي الى المقهى فوجدت اكثر الاخوان مجتمعين وقد توسطهم رجل طويل القامة لون وجهه يشبه لون ماء النيل ابان الفيضان كما وصفه الاستاذ زكريا جزارين يتحدث في تؤدة ورصانة ومنطق متماسك وبصوت اجش عميق وأدركت انه الاستاذ العقاد ، وراقني ذلك ، فقد كنت اتطلع الى هذا اللقاء منذ سنوات ، وكان جميع الحاضرين يستمعون الى حديثه ، فشاركتهم في الاصغاء اليه ، وكان معظم الحديث فيما اذكر يدور حول تجربة للتدريس في احدى المدارس الثانوية الاهلية ، وما لحظه من الشذوذ والالتواء في تصرفات القائمين بأمورها ، والظاهر ان عظماء الرجال في بعض الاحيان لا يستطيع الانسان ان يستشرف معالم شخصيتهم من اول وهلة ، ولعلي كنت اوثر ان يتناول الحديث مسألة عامة او مشكلة من مشكلات الادب والفكر ، ولذلك لم يترك هذا اللقاء الاول في نفسي انطباعا حسنا برغم شدة اعجابي بما سبق ان قرأت للعقاد ، وتكرر بعد ذلك لقائي له وأخذت تظهر لي معالم شخصيته وأبعادها المترامية ، وفي ذات ليلة دار الحديث عن الكاتب المفكر ماكس نورداو ، فتناول العقاد كتابه المسمى «بالانحطاط» بالتحليل والشرح ، وأفاض في ذلك حتى ادهشنا ببراعة عرضه لموضوع الكتاب ، واستقصاء ما اثاره مؤلفه من مشكلات مع مناقشتها مناقشة العالم الخبير بمصادرها ومواردها ، وكاد كلما عرضت مسألة من مسائل الادب او الفن او العلم ادلى فيها بالرأي الموفق الذي يدل على النظر الثاقب والاحاطة المستوعبة .

ولم تطل اقامته في الاسكندرية في ذلك الصيف ، وفي سنة ١٩١٧ زرت القاهرة لقضاء بضعة ايام في اوائل الخريف ، وشرفت بلقاء العقاد ، وقضينا بعض الوقت في حديقة الحيوانات بالجيزة ، واستدعي العقاد بعد ذلك الى الاسكندرية للاشتراك في تحرير جريدة الاهالي مع المرحوم الاستاذ الكاتب الصحفي الكبير عبد القادر حمزة ، فأتاح لي ذلك فرصا كثيرة للقائه ومجالسته والاستمتاع بأحاديثه الشائقة ، وانتقل بعد ذلك الى القاهرة وعمل محررا في جريدة البلاغ مع الاستاذ عبد القادر حمزة ، وانتقلت كذلك الى القاهرة . وظلت علاقتي به متصلة . وفي خلال ذلك ظهرت الحركة القومية التي قادها المرحوم سعد زغلول ، وكان العقاد في طليعة الكتّاب الوفديين المناضلين عن مبادىء الوفد وخطته ، وكنت في ذلك الوقت مثل سائر الشبان المتحمسين نعجب بمواقف سعد زغلول ، وقد ناصره العقاد بقلمه ، ووقف بالمرصاد لخصومه ، وبرز في الجدل السياسي ، والحملات الحزبية . ولم يحل ذلك دون بذله الجهود الادبية ، فظهر في سنة ١٩٢١ الجزء الاول والثاني من كتاب الديوان وقد اشترك معه في تحريره الاستاذ المازني . وهاجم العقاد في كتاب الديوان شعر شوقي هجوما عنيفا ، ونقده نقدا قاسيا وقد عاشرت العقاد طويلا وعرفت الكثير من خلائقه وطباعه . والعجيب انه على كثرة ما عرف عنه من كثرة الهجوم وخوض المعارك الادبية والاشتباك في ألوان الجدل السياسي والفكري لم يكن دائما البادىء . بل كان موقفه موقف المدافع الذي يرد الهجوم عليه بهجوم اقوى ويكيل للمهاجم الصاع صاعين ، وكان المرحوم شوقي لا ينفك يغري به صاحب جريدة عكاظ الشيخ فهيم قنديل ، فكان لا يخلو عدد من اعدادها من نقد للعقاد ادخل في باب الهجاء والسباب منه في باب النقد الادبي النزيه . ويضاف الى ذلك ان العقاد بطبيعته لم يكن حسن الرأي في ادب شوقي في مجموعه وان كان يعجب ببعض ابياته السائرة وأذكر اني سمعته مرة يردد قول شوقي في رثائه لجرجي زيدان :

نوابغ الشرق هزوه لعل به — من الليالي جمود اليائس السالي

ويبدي اعجابه به ، ولحظ دهشته بعض الحاضرين الذين كانوا

(البقية على الصفحة ٤٩)

بقلم الامير مصطفى الشهابي

اذا قلنا ان الزراعة قد تطورت تطورا كبيرا في القرن الماضي والقرن الحاضر ، وان الزراعة الحديثة اصبحت تقوم على ادق الاسس العلمية ، فاننا لا نكون قد تجاوزنا الحقيقة في قولنا هذا .

نشأة الزراعة وتطورها

لنبدأ حديثنا الموجز بلمحة خاطفة في نشأة الزراعة وتطورها في القديم . فالزراعة عرفت في ازمنة موغلة في القدم ، اي منذ ان صار الانسان قادرا على ادراك شيء من معالم الارض والطبيعة وتمييز بعضها من بعض . وكان بادىء ذي بدء يقتات بما يصطاده من الحيوانات البرية ، ومما يجده من الثمار البرية في شجر الاحراج . وبعد سلسلة طويلة من الملاحظات البطيئة تمكن من تدجين الخيل والماشية ورياضتها . وأخذ يميز صالح النبات البرّي من طالحه ، فيلتقط الاول ويطرح الثاني ، حتى اذا رأى ان النبات ينشأ من بزرة تنبت فتولد عدة بزور ، تبادر الى ذهنه ان يزرعها ، لكنه خاف عليها من النباتات البرية في الارض ، فانكب على ابادة تلك النباتات ، فكان نشوء الحرث والزرع مغبة ذلك .

ومن المعروف عند علماء الجيولوجية والآثار ان الانسان في حقبة الحجر المصقول كان يزرع بعض الحبوب كالحنطة والشعير ، وبعض القطاني كالفول والعدس والحمص ، كما كان يجني بعض الثمار كالتفاح والكمثرى والتوت والبندق والكرز وغيرها . وكان فوق ذلك قد دجن الخيل والحمير والبقر والضأن والكلاب ، وصار عليما بغربلة الحنطة وطحنها بوسائله البدائية .

وتلت الحقبة المذكورة حقبة البرنز ثم حقبة الحديد التي تنتهي بفجر التاريخ ، وفيه صار من المتيسر لنا الحصول من الآثار على معلومات في الزراعة اصح وأوسع من معلوماتنا فيها قبل التاريخ . ذلك بأنه نشأت في مصر وفي سقي دجلة والفرات خاصة حضارات قديمة مشهورة كثر فيها عدد السكان ، وازدادت حاجاتهم الى الغذاء والكساء ، واجتمع لديهم ملاحظات جمة في الاعمال الزراعية وفيما يحتاج اليه النبات في الارض المزروعة ، وبذلك قامت زراعتهم على عديد من الملاحظات ، وأصبح لديهم تقاليد في الاعمال الزراعية يتبعونها جيلا بعد جيل .

وأفاد اليونانيون من خبرة قدماء المصريين في الزراعة ، وألفوا كتبا زراعية نقل بعضها الى العربية في زمن العباسيين . وكذلك ظهر عند الرومان مؤلفون في الزراعة . اما في اليمن فقد كان لقدماء اليمانيين ، في مدنيات معين وسبأ وحمير وغيرها ، اهتمام باقامة السدود في وجه الامطار والسيول ، وعناية بغرس الاشجار المثمرة والكروم والحنطة والنباتات العطرية كالقرنفل والمر والبلسم . وأما النبطيون فيقول ابن وحشية انهم هم الذين ألفوا كتاب الفلاحة النبطية ، وهو الكتاب الذي نقله ابن وحشية من النبطية الى العربية سنة ٢٩١ للهجرة . ولا يزال هذا الكتاب مخطوطا . وله قيمة تاريخية كبيرة ، لانه الكتاب الوحيد الذي بحث فيه مؤلفه عن الفلاحة عند قدماء الآراميين والأنباط ، واستشهد بأقوال رجال منهم .

وعرفت العرب بعد ظهور الاسلام جميع النباتات الزراعية التي نعرفها في ايامنا هذه ، الا ما نقل الينا حديثا من البلاد الاميركية بعد الكشف عنها كالتبغ والبطاطس والذرة الصفراء (الذرة الشامية) والغوافة والقشدة والبنادورة (القوطة) ، او نقل الينا من بلاد في الشرق الاقصى ، او من مستعمرات اوربية بعيدة مثل الكاكي والمندرين والجنبوزة وزعرور اليابان (البشملة في مصر والايكي دنيا في الشام) وغيرها .

وورث العرب خبرة القدماء في شؤون الفلاحة كالكلدانيين والآراميين والمصريين واليونانيين



والرومانيين ، وازدادت ملاحظاتهم وتجاربهم ، فعرفوا مثلا بالمشاهدات فوائد الدورة الزراعية وضرورة تعاقب الزروع في الارض ، وعرفوا ان القطاني (كالفول والعدس والجلبان والبيقية) تزيد خصب التربة ، وان الحبوب والقطن والكتان وغيرها تنهكها ، ولكنهم جهلوا تعليل ذلك . ومع انهم اتبعوا قواعد زراعة الاراضي اليابسة ، اي زراعة الأعذاء على المطر ، لكنهم لم يستطيعوا تعليل تلك القواعد علميا .

ونقل العرب الأترج والنارنج والليمون من الهند الى بلاد العرب . ونقلوا الى سواحل البحر المتوسط زراعة القطن والمشمش والخوخ (الدرّاقن) وقصب السكر والرز والخروب والبطيخ الاخضر او الهندي (البطيخ في مصر) وغيرها .

وألف قدماء العرب او ترجموا كتبا قليلة في الزراعة . وكانوا يسمونها كتب الفلاحة لا كتب الزراعة . وكلمة الفلاحة بمعنى حرفة الفلاح تستعمل اليوم في بلاد المغرب العربي استعمال كلمة الزراعة في بلاد الشرق العربي ، فيقال في مملكة المغرب مثلا وزارة الفلاحة ، ومدرسة الفلاحة وهكذا .

وأقدم كتاب لهم هو كتاب الفلاحة النبطية الذي مر ذكره ، وتلاه كتاب الفلاحة الرومية نقله سرجس بن هليا الرومي الى العربية ، وطبع في القاهرة سنة ١٢٩٣ للهجرة . وفي الكتابين معلومات زراعية مفيدة الى جانب خرافات وأوهام كثيرة لا العلم يقرها ولا العقل .

وتجب ان ننتقل في حديثنا الى الاندلس لكي نجد فيها علماء تجنبوا ذكر الاوهام والخرافات في كتبهم ، وتتبعوا الشؤون الزراعية في اراضيهم وأراضي الفلاحين . وعكفوا على التجارب الزراعية في الحدائق والحقول . ومن اشهرهم ابن العوام الاشبيلي (توفي في نحو سنة ٥٨٠ ه) ، وهو مؤلف كتاب الفلاحة الاندلسية ، وكان يقوم بتجاربه على جبل الشرف جنوبي اشبيلية . ونقل ابن العوام في كتابه هذا عن مؤلفين عاشوا قبله مثل ابن وافد (٣٩٨-٤٦٧ ه) الذي كان يتولى غرس جنة المأمون بن ذي النون الشهيرة في طليطلة . وقد ألف كتابا زراعيا سماه « المجموعة » .

وممن نقل ابن العوام عنهم ابن البصّال (أو الفصال) ، وابن الحجاج له كتاب « المقنع » ، وقد اكثر ابن العوام من النقل عنه الخ .

ويتبين من مراجعة المعروف من هذه الكتب ان الفلاحة في الاندلس كانت قد اصبحت فنا تجرّب فيه تجارب عملية مختلفة مبنية على الملاحظات لا على العلم : كايجاد اصناف جديدة من الغلات والأثمار ، ومكافحة بعض الأمراض والحشرات ، وتأثير بعض المخصبات في غلات النباتات الزراعية ، وأشكال التقليم والتطعيم وغير ذلك .

وليس بغريب ، بعد هذا ، ان يقتبس الفلاحون الاسبان من مجاوريهم العرب المفيد من الاعمال الزراعية ، وأن يزرعوا ما نقلته العرب الى الاندلس من النباتات الزراعية المشهورة ، وأن ينقل بعض الاسبانيين كتب الفلاحة العربية الى اللغة القشتالية للافادة منها ، في زمن كانت فيه أوربة كلها سادرة في جهل مطبق ، وكان فلاحو بعض البلاد الأوربية مشدودين الى الارض يباعون معها ويشرون كالعبيد .

تقدّم الزراعة الحديثة

لقد ظلت الزراعة في القرون الاولى والقرون الوسطى قائمة على تقاليد متبعة كان للحدس والاوهام فيها نصيب كبير . فلما جاء عهد باكون وديكارت في الفلسفة ، وكبلر وغاليليو في العلوم ، وجعل الناس يلقون عن عاتقهم الاسلوب الغيبي ويتبعون الاسلوب العلمي في التفكير ، نهضت أوربة نهضتها العلمية الحديثة ، فكان للزراعة في تلك النهضة حظ عظيم .

ففي الكيمياء وضعت اسس الكيمياء الزراعية ، وعرف تركيب التربة وما تحتوي عليه من العناصر الغذائية ، وعرف ايضا تركيب الاسمدة والغلات والثمار .

وفي علم النبات كشف النقاب عن حقائق عظيمة في وظائف اعضاء النبات وفي حياته اي في الفسيولوجية والبيولوجية النباتية . ومن اعظم هذه الحقائق شأنا وأنفعها للزراعة ما يتعلق بغذاء النبات ، وهو ان الاملاح المعدنية هي التي يغتذي النبات بها ، وان فائدة الزبل وسائر المواد العضوية انما هي فيما تحتوي عليه من هذه الاملاح . وقد ادت معرفة هذه الحقيقة الى قيام صناعة الاسمدة الكيماوية والى تحري الاسمدة المعدنية الطبيعية واستعمالها .

وأفادت الزراعة فوائد جلى من الكشف عن قوى البخار والمواد المشتعلة والكهرباء فصنعت آلات زراعية مختلفة تحرك بهذه القوى . وأفادت ايضا من العلوم الميكانيكية فاخترعت آلات الحرث والبذر والحصاد والدراس والغربلة ، وقامت المصانع للصناعات الزراعية المختلفة كصناعة الألبان والنشا والسكر والمحفوظات الغذائية وغيرها .

وعندما كشف بستور عن المكروبات صار الزراعيون يعرفون كيف تحصل الاختمارات في مختلف المواد الزراعية ، كعصير العنب واللبن والتفاح وغيرها ، وكيف يحدث بعض هذه المكروبات وبعض الفطور المجهرية امراضا في الزروع ، مما جعل الكيمياويين يوجدون مبيدات هذه الامراض ومبيدات المضرّ من الحشرات الزراعية . وقد اسست لتلك الامراض والحشرات مخابر للدراسة في شتى بلاد العالم الراقية .

ومن الطبيعي ان يؤدي التوسع في علوم النبات الى معرفة علم الوراثة ، واصلاح الانسال ، وايجاد اصناف عديدة من النباتات الزراعية الكثيرة الغلات والجيدة الصفات والمقاومة لفتك الامراض والحشرات فيها .

وشبيه بذلك تقدم تربية الخيل والماشية ودواجن الطير . بعد معرفة الاسس التي قامت عليها وظائف اعضاء الحيوان وتغذيته ، فتمكن المختصون من ايجاد سلالات حيوانية تمتاز بالصفات المرغوب فيها من لحم او عمل او صوف او غير ذلك .

ولننظر بعد هذا الى التشريع الزراعي كيف يتطور في مصلحة الفلاحين ، والى الاقتصاد الزراعي كيف يقوم على اساس التسليف والتأمين والتعاون المشترك في تدارك الحاجات وبيع الحاصلات .

وبعد . ان الزراعة في ايامنا هذه تقوم كما قلت على ادق الاسس العلمية . وستظل الزراعة تفيد من تقدم العلوم حتى الذرية منها . وما دام ثلث البشر تقريبا لا يجد ما يكفيه من الغذاء فيجب ان يظل لتطور الزراعة ثلاثة اهداف : تكثير المنتجات الزراعية ، وتجويد صفاتها ، وتقليل نفقات انتاجها .

أعمال هندسة البترول في بقيق

يصل احدنا الى احدى محطات الخدمة ويطلب الى العامل فيها ملء خزان سيارته بالوقود . ولكن هل جشمنا انفسنا عناء السؤال عن كيفية وصول الوقود الى هذه المحطة . وعن الخطوات العديدة التي تمت قبل ان يصبح بمقدورنا الحصول عليه . قد يكون الجواب في الغالب «لا» . فهذا امر قد لا يهمنا في قليل او كثير . وكل ما يهمنا هو توفر الوقود الذي يخولنا استئناف رحلتنا .. ولكن جميع الخطوات التي تناسينا امر المعرفة عنها هي في الواقع اعمال شركات الزيت التي يضطلع مهندسو البترول بمهمة الاشراف على بعض مراحلها . والتي اذا بحثت عنها وتعرفت بها . وجدتها مهمات جسام معقدة متشعبة . ووجدت ان منتجات الزيت قد مرت بخطوات عديدة قبل ان يصبح بمقدورنا الاستحصال عليها في الاسواق .

تبدأ مهمة مهندس البترول منذ الخطوة الاولى التي يبدأ فيها حفر البئر حتى المرحلة التي يدفع فيها الزيت الخام في خطوط الانابيب الى معمل التكرير او الى الاسواق العالمية . فهو المسؤول اولا وآخرا عن الاعمال الهندسية المتعلقة بحقول الزيت وزيادة الانتاج فيها . وعن كيفية معالجة الزيت بحيث يصبح متفقا ومواصفات الشحن المطلوبة . وهو المسؤول عن جعل جميع المرافق تعمل بانتظام في سبيل الهدف المنشود .

وهندسة البترول في ارامكو ، قسم تابع لادارة اعمال الزيت ، يعمل فيه ١٩ مهندسا موزعين على الوحدات التالية ، وحدة هندسة مكامن الزيت وفيها ٤ مهندسين ، ووحدة هندسة الانتاج وفيها ٧ مهندسين ، ووحدة هندسة الحفر وتضم ٨ مهندسين .

هندسة مكامن الزيت

وتتلخص مهمات هذه الوحدة في دراسة مكامن الزيت ، والعمل على تطويرها ، وتقدير كميات احتياطي الزيت فيها ، كما يقوم مهندسو هذه الوحدة باعادة دراسة النتائج التي توصلت اليها ابحاث المختبرات والدراسات الهندسية المختلفة . واستخدام هذه المعلومات في دراسة احوال مكامن الزيت . هذا ، ويحاول المهندسون وضع افضل البرامج لتطوير حقل معين ، الامر الذي يرشد الادارة الى اختيار المعدل الانتاجي المناسب الذي يتلاءم والمتطلبات المنشودة من جهة ، ومتطلبات السلامة من جهة اخرى .

وحدة هندسة الإنتاج

لدى ارامكو حاليا اثنا عشر حقلا للزيت ، فيها حوالي ٢٥٠ بئرا منتجة للزيت ، وتسع آبار لحقن الغاز ، و ١٩ بئرا لحقن الماء . هذا بالاضافة الى عدد كبير من الآبار الاحتياطية وآبار المراقبة . فمهمة هندسة الانتاج تبدأ بوضع البرامج المتعلقة بفحص الآبار ومراقبة عملية تنفيذها . وعلاوة على ذلك يقوم مهندسو هذه الوحدة بفحص الضغط في قيعان جميع الآبار المحفورة سواء أمنتجة كانت أم احتياطية ام للمراقبة ، وذلك لتقرير نسب الغاز والزيت فيها ، وتحديد معدل انتاجها ، وتعيين الطرق الفنية الضرورية لحقن الغاز او الماء في المكامن .

ومن ضمن اعمال هذه الوحدة تقديم المعونة الفنية اثناء تصميم مرافق الانتاج الجديدة وبنائها وتشغيلها .. والمساعدة في اجراء الفحوصات على المرافق الجديدة ، وذلك لتحديد طاقتها الانتاجية ، وتقديم جميع المساعدات الفنية الضرورية لمرافق الانتاج ووضع البرامج الصيانية لها ، وللمعدات المستعملة فيها .

ويقوم مهندسو وحدة هندسة الانتاج كذلك بتقدير كمية الغاز المتوقع توفرها والتي يمكن اما بيعها للمصانع المحلية او حقنها في مكامن الزيت للحفاظ على مستوى الضغط فيها ، ودراسة مختلف الوسائل التي تعمل على رفع مستوى الانتاج مثل استعمال الحوامض والتجزئة ، وابدال فوهات الآبار ، واستعمال

لفيف من عمال الحفر يقومون بقياس قطر انبوب الحفر بحضور احد مهندسي البترول .



انابيب تجميع اوسع وما الى هنالك من وسائل معروفة ، وتقديم تقرير مفصل عن نتائج هذه الدراسات .

ومن الامور التي تهتم بها شركات الزيت منع التآكل في الانابيب ومرافق الانتاج ، لان مثل هذا التآكل الذي تسببه الغازات الممتزجة بالزيت الخام قد يكون من شأنه ايقاف عمليات الانتاج جزئيا نتيجة لخلل في احد خطوط الانابيب او المرافق .

وهنا تظهر اهمية عمل مهندس البترول الذي يقوم بالبحث عن مواطن التآكل في آبار الزيت وأنابيب التجميع والمرافق المختلفة والعمل على اصلاحها وتطبيق الطرق الحديثة في منع حصول مثل هذا التآكل او تخفيفه . وهذا العمل ايضا جزء من مهام وحدة هندسة الانتاج .

وَحْدَةُ هَنْدَسَةِ الحَفْر

يقوم مهندسو هذه الوحدة بتقديم المعونة الفنية اللازمة لمشرفي وحدات الحفر ، كما يقومون بمساعدتهم على حل المشاكل الفنية التي قد تعترض سبيلهم .

وتشمل المساعدات الفنية التي يقدمها المهندسون لوحدات الحفر على :

أ – تقدير تكاليف المشاريع المختلفة التي تنوي وحدات الحفر القيام بها وتقديم تقرير شامل عنها للمسؤولين .

ب – تحديد سماكة الغلاف الداخلي للآبار ، وتعيين كمية الاسمنت الضرورية للتغليف .

ج – تقرير عمق الحفريات ، وأنواع المثاقب التي ينبغي استخدامها .

د – القيام بفحص عينات الطين والزيت ، وذلك عندما تكون اعمال الحفر جارية في مناطق نائية عن مختبر اعمال الزيت .

هـ – التحري عن الخلل في المعدات او الاجهزة او المواد ، واعطاء الارشادات الضرورية لاصلاحها .

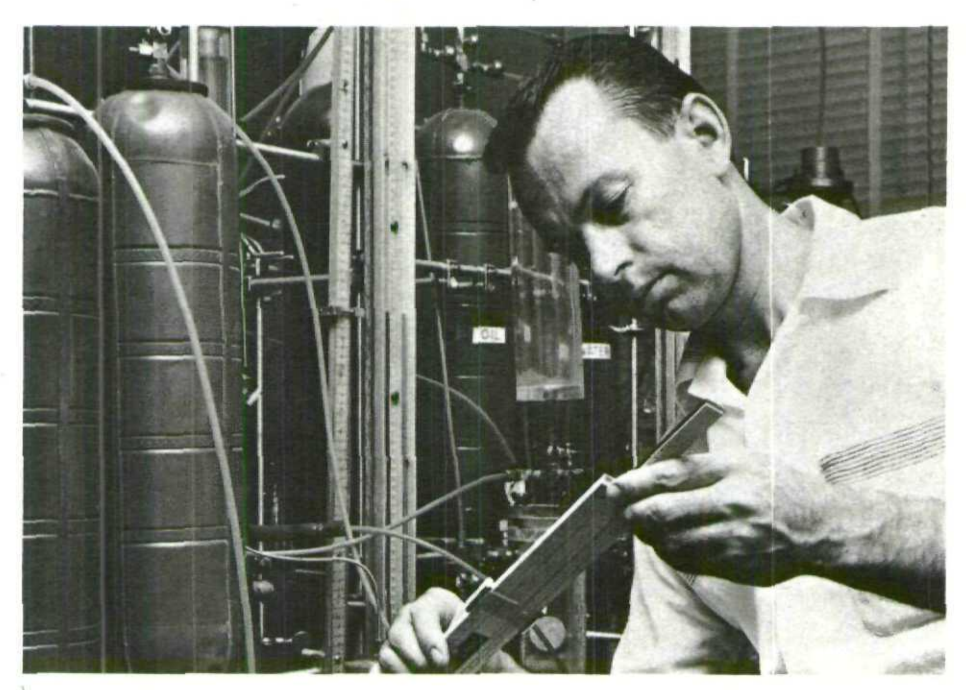
و – جمع الحقائق والمعلومات عن تكاليف الحفر وغيرها ، واستخدام هذه المعلومات في البحث عن طرق حفر افضل من الناحيتين المادية والعملية .

ز – تنسيق المعلومات الواردة في التقارير اليومية والاحتفاظ بها كمرجع ثقة يستخدم في المستقبل ويستفاد منه في تجنب الاخطاء التي وقعت في السابق .

المختبر

ويتبع لهذا القسم مختبر لاعمال الزيت يقوم بتحليل عينات الطين والزيت والماء التي ترد من وحدات هندسة البترول ، الامر الذي يساعد المهندسين في دراساتهم وأبحاثهم ويجعلهم على بينة مما يقومون به من اعمال .

هذه نبذة عن اعمال قسم هندسة البترول ذي الاهمية البالغة في صناعة الزيت في المملكة العربية السعودية .



١

١ – احد مهندسي البترول يحسب المعلومات التي تتوفر لديه اثناء فحص عينات الطين في المختبر .

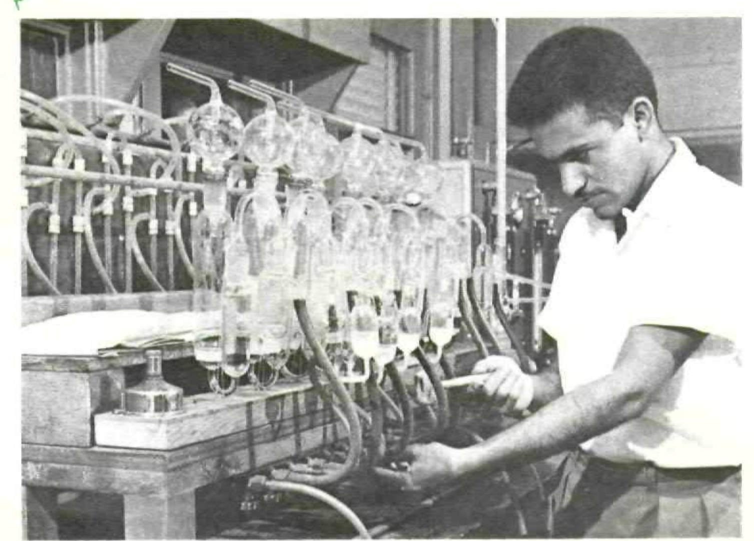
٢ – احد معامل فرز الغاز من الزيت التي تقع تحت اشراف مهندسي الانتاج من حيث الصيانة .

٣ – احد الفنيين السعوديين الذين يعملون في مختبر اعمال الزيت التابع لقسم هندسة البترول في بقيق ، يقوم بفحص عينات من الزيت الخام .

٤ – السيد علي السلطان ، حفار مسؤول عن عشرة رجال يتلقى بعض الارشادات من مهندس الحفر السيد س. ر. مايز .

٢

٣



٤





بقلم الدكتور زكريا ابراهيم

حينما يتحدث علماء النفس عن «روح الفكاهة» ، فانهم يعنون بهذا اللفظ قدرة الفرد على الاستجابة الملائمة للمؤثرات الهزلية من جهة ، ومدى براعته في ابتداع الملابسات الباعثة على الضحك من جهة أخرى . فالروح الفكاهية انما تنطوي على عنصرين هامين : عنصر تقدير (appreciation) يكشف عن قدرة الشخص على الضحك في الوقت المناسب ، وعنصر ابداع (creation) يكشف عن قدرة الشخص على انتزاع استجابة الضحك من الآخرين . وحينما نقول عن احد الأشخاص انه يتمتع بحس فكاهي ممتاز ، فاننا نعني بذلك أنه يملك القدرة على تذوق النكتة من جهة ، كما أنه يتمتع بملكة الظرف (أو خفة الروح) من جهة أخرى . وكلما قوي حظ الفرد من روح الفكاهة ، زادت قدرته على تذوق النكتة واطلاق الدعابة . ولا بد من أن يكون القارىء قد سمع عن شخصيات مثل المرحوم الشيخ عبد العزيز البشري ، أو المرحوم الدكتور محجوب ثابت ، أو المغفور له الشاعر حافظ ابراهيم ، أو المرحوم الأستاذ حسين شفيق المصري أو غير هؤلاء من أمراء الفكاهة في مصر . والسمة الظاهرة التي كانت تجمع بين كل هؤلاء الظرفاء من رجالات الأدب عندنا هي «خفة الروح» أو «رشاقة النكتة» ، حتى انه كان من النادر أن تخلو جلسة من جلساتهم من الفكاهات العابرة والدعابات العارضة .

بيد ان الباحثين الذين عنوا بدراسة «روح الفكاهة» لم يقصروا بحوثهم على معرفة قدرة الأفراد على تذوق النكتة ، بل هم قد اهتموا ايضا بمعرفة مدى نجاح هؤلاء الأفراد في تكملة الدعابات الناقصة ، ووضع أسماء للرسوم الهزلية ، وتأليف نكت لبعض الصور «الكاريكاتورية» ... الخ . وعلى الرغم من أن كلمة الباحثين قد اجتمعت على ان «الحس الفكاهي» هو سمة هامة من سمات الشخصية الا أن تحديد مضمون هذا الحس قد اختلف من باحث الى آخر ، فقال قوم بأنه نوع من البصيرة أو الاستبصار (insight) ، بينما زعم آخرون أنه ضرب من الاحساس الفلسفي بالحياة ، في حين حاول غيرهم أن يربطوا هذا الحس بالمزاج الخاص للفرد ... الخ . ولكن الغالبية العظمى من الباحثين قد اقتصرت على وضع اختبارات دقيقة أو استفتاءات منظمة لقياس «روح الفكاهة» . مع الاهتمام في الوقت نفسه بتحديد علاقة هذه الروح الفكاهية ببعض عوامل شخصية أخرى كالقدرات الدراسية أو النضج الانفعالي ، أو الذكاء ، او المزاج ، او القامة ، أو الوزن ، أو الجنس ... الخ . وقد لجأ هؤلاء الباحثون الى شتى أساليب التحليل الاحصائي من أجل قياس الفروق الفردية القائمة بين الجنسين ، بغية الوصول الى تحديد مدى قوة أو ضعف الحس الفكاهي عند كل من الذكور والاناث . كذلك اتجه بعض علماء النفس نحو دراسة «روح الفكاهة» عند الشعوب المختلفة والجنسيات المتعددة ، فقسموا الجماعات البشرية بحسب درجة اقبالها على الفكاهة أو عزوفها عنها ، وجاءت دراساتهم — في كثير من الأحيان — متأثرة بجنسياتهم ونزعاتهم القومية ... الخ .

ولن نستطيع أن نسهب في شرح شتى الاختبارات التي قام بها بعض علماء النفس لدراسة «روح الفكاهة» عند الأفراد والشعوب ، وانما حسبنا أن نشير الى بعض النتائج الهامة التي تأيدت باختبارات متعددة أجراها باحثون مختلفون : فقد ثبت مثلا وجود علاقة مطردة بين «الشخصية المنبسطة» (extrovert) والميل الى الفكاهات الجنسية والعدوانية ، وبين «الشخصية المنطوية» (introvert) والميل الى الفكاهات العقلية القائمة على الذكاء أو الفطنة او سرعة البديهة . وهذا ما توصل اليه الأستاذ «ايزنك» (Eysenck) في اختباراته العلمية الدقيقة التي أجراها على أكثر من مائة شخص من الجنسين في انجلترا ، فقد تحقق من أن ثمة فريقين مختلفين من الأفراد : فريقا يؤثر الفكاهة التي ترضي في نفسه الميول العدوانية والجنسية ، وهؤلاء هم «المنبسطون» ، وفريقا يؤثر الفكاهة الذكية البارعة التي ترضي ميوله العقلية ، وهؤلاء هم «المنطويون» ... كذلك اهتم بعض الباحثين بدراسة العلاقة بين روح الفكاهة ومستوى الذكاء عند الأطفال والبالغين على السواء ، فتبين لهم وجود علاقة وثيقة بين المقدرة العقلية والحس الفكاهي ، بدليل أن بعض الأطفال الذين ينقصهم «الاستبصار العقلي» هم أعجز من غيرهم عن الاستجابة للمؤثرات الهزلية بصفة عامة ، في حين أن الأطفال النابهين هم في العادة أقدر من غيرهم على تمييز المفارقات المضحكة وشتى ضروب الاستحالة العقلية . ولئن كان من الحق — في بعض الاحيان — أن ثمة عوامل نفسية اخرى كالمزاج والاتجاه الوجداني وغير ذلك من النوازع النفسية قد تحجب الدور الذي يقوم به «الذكاء» في تقدير الفكاهة ، الا ان الرأي قد أجمع على وجود علاقة وثيقة بين الضحك والترقي النفسي عموما . ومعنى هذا أن الروح الفكاهية تسير جنبا الى جنب مع الصحة العقلية السوية أو النمو النفسي الطبيعي ، فهي في كثير من الاحيان بمثابة أمارة على سلامة العقل ، وصحته ، وقدرته على الاستجابة للمواقف المختلفة بطريقة ملائمة .

أما فيما يتعلق بالعلاقة بين الفكاهة والجنس (أي الذكورة أو الأنوثة) فقد أثبت الكثير من البحوث أن الروح الفكاهية أقوى لدى البنات منها لدى الأولاد في المرحلة الأولى من مراحل الطفولة ، في حين تزيد قدرة الأولاد على فهم النكات وتذوق الفكاهات في المراحل المتأخرة من الطفولة عن نظيرتها لدى البنات . هذا وقد قامت باحثة أمريكية بدراسة المنبهات التي تولد استجابة الضحك لدى الذكور والاناث ، فلاحظت أن رسوم الأولاد الهزلية أشد طرافة من رسوم البنات ، وان كانت الفوارق الفردية اكثر أهمية في هذا الصدد من الفروق الجنسية . ومعنى هذا أن اختلاف المزاج أقوى أثرا على الروح الفكاهية من اختلاف «الجنس» (Sex) . ولكن التجربة قد دلتنا بصفة عامة على أن الفتيات يملن في العادة الى استهجان النكات القاسية والفكاهات اللاذعة ، فضلا عن أنهن قد يكن أقل استعدادا من الفتيان للاقبال على الفكاهة العدوانية ، أو النكتة الجنسية ، وشتى الدعابات القائمة على السخرية والتهكم أو الهجو والافحاش . والظاهر أن وظيفة المرأة البيولوجية في عملية التكاثر هي التي تملي عليها النظر الى المسألة الجنسية (والتناسلية) بشكل جدي ، مما يجعلها عاجزة عن الاستجابة بالضحك للنكات البذيئة التي قد تنطوي على أي استخفاف بقدسية الجنس . ولا يزال علماء النفس يواصلون تجاربهم واختباراتهم للوصول الى تحديد الفروق الجنسية القائمة بين الرجال والنساء في مضمار الفكاهة والضحك بصورة نهائية قاطعة .

وأما اذا عمدنا الى دراسة العلاقة بين الروح الفكاهية والفروق القومية ، فاننا سنجد أن لكل شعب — فيما يرى بعض الباحثين — نموذجه الشخصي الخاص الذي يميز روحه الفكاهية عن كل ما عداها . فالفكاهة الألمانية (مثلا) عامرة

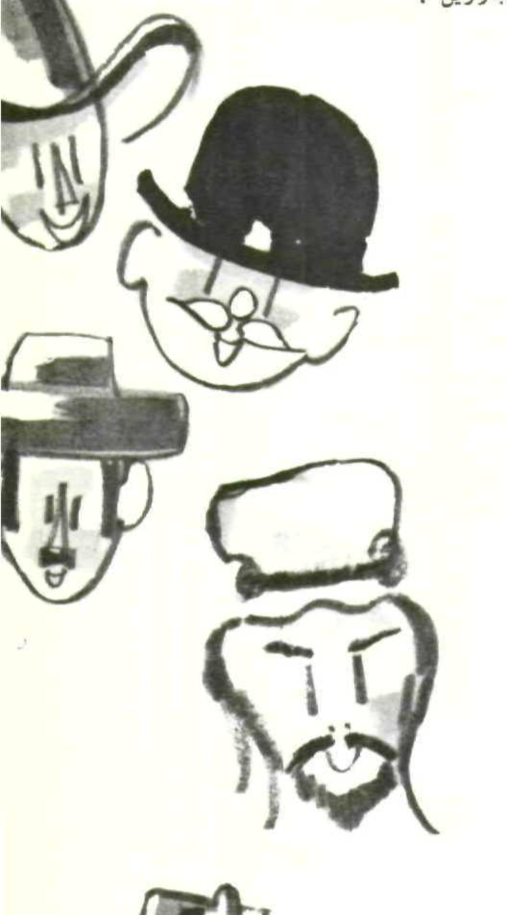


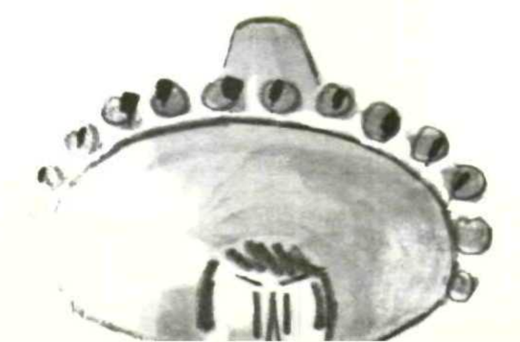


بالوجدان ، مليئة بالتعاطف ، في حين ان الفكاهة الانجليزية ناطقة برغبة أهلها في مصارعة جـدية الحياة ... والفكاهة الأمريكية بدائية زاخرة بالاغراق والتهويل والمبالغة ، بينما تبدو الفكاهة الفرنسية قاسية لاذعة شديدة العداء . ولكن بعض الباحثين قد ذهب الى التقليل من قيمة هذه المقارنات ، بدليل أن الاختبارات التي أجريت على الكثيرين قد أثبتت عجزهم عن التمييز بين الفكاهة الأمريكية والفكاهة الانجليزية ، بينما أثبت آخرون أن الفارق ضئيل بين الفكاهة الأمريكية والفكاهة اليابانية (مثلا) . ومع ذلك ، فان من المؤكد أن لكل شعب روحه الفكاهية الخاصة ونكاته العديدة التي يسخر فيها من غيره من الشعوب الأخرى . والظاهر أن عيوب الأجناس الأخرى ، ونقائص غيرنا من الشعوب ، هي دائما أكثر استثارة لضحكنا من عيوبنا ونقائصنا نحن . وربما كان السبب في ذلك أن أساليبنا في السلوك والتعامل تبدو لنا طبيعية معقولة ، نظرا لأنها عادية مألوفة ، في حين تبدو لنا أساليب غيرنا من الشعوب عجيبة مستهجنة ، وبالتالي مضحكة أو باعثة على السخريـة . ومـن هنا فان الفرنسي يسـخر من الانجليزي ، والانجليزي يرد له الجميل بمثله ! ونحن في مصر نتندر على كثير من الشعوب الأجنبية، فنطلق النكات على التركي ، والأمريكي ، والفرنسي والانجليزي والهندي وغيرهم ! وقد وجدت «الروح العدوانية» عند الفرنسي مادة خصيبة للفكاهة اللاذعة في شخص الانجليزي التقليدي المحافظ ، بتزمته وريائه ونقائه المزعوم ! كذلك اهتم الفرنسيون في فكاهاتهم بالسخرية من العقلية الأمريكية ، فذهب أحدهم – مثلا – الى أن الأمريكيين المحدثين قد نجحوا في تطبيق السرعة في كل ميدان ، حتى أن الموسرين منهم ينتجون الأطفال في ثلاثة شهور ، في حين يستلزم انتاج الأطفال من ذوي الطبقة الفقيرة وقتا أطول بقليل ! ولعل من هذا القبيل أيضا ما رواه أحد أهل الفكاهة من الفرنسيين عن شخصين انجليزيين غرقت الباخرة التي كانا يركبانها ، فوجدا نفسيهما في جزيرة نائية . ولكن كلا منهما ظل وحيدا لا يجرؤ على مخاطبة الآخر ، نظرا لأن أحدا لم يقدم الواحد منهما للآخر ! وهكذا بقي الاثنان في عزلتهما الأليمة لا يملكان سوى أن يجهل أحدهما الآخر تماما ، الى أن شاءت الارادة الالهية للموج العاتي بأن يدفـع لهما بانجليزي ثالث ، فسرعان ما تألف من ثلاثتهما «ناد» ضم بين رحابه رعايا الامبراطورية البريطانية المجيدة بتلك الجزيرة المهجورة النائية !

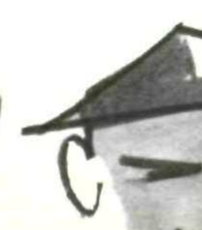
وقد قام الباحث الانجليزي ايزنك ، بدراسة الفروق القومية المميزة لبعض الشعوب ، من أجل التعرف على مدى نمو الروح الفكاهية عند كل منها ، فاستطاع أن يتحقق من خطأ الزعم القائل بتوافر هذه الروح لدى البعض وانعدامها لدى البعض الآخر . ولئن كانت التجارب قد أثبتت وجود بعض الاختلافات بين الاشخاص الأمريكيين والاشخاص البريطانيين الذين أجرى عليهم ايزنك اختباراتـه ، الا ان الجانب الأكبر مـن هذه الاختلافات انمـا كان يرجع الى اختلاف حـظ المختبرين من التربية والثقافة . وقد عاد هذا الباحث فحاول أن يتحقق في تجارب أخرى مما اذا كان في الامكان تمييز الرسوم المتحركة للشعوب المختلفة ونسبتها الى اصحابها الحقيقيين ، أو ما اذا كانت هناك استحالة في التعرف على هذه الجنسية ، فكان يعرض تلك الرسوم على اشخاص يجهلون مصدرها ، طالبا اليهم أن يحـددوا جنسية أصحابها . وقد أثبتت هذه التجـارب أن الأشخاص المختبرين لم يكونوا ينجحون في تعرف جنسية تلك الرسـوم المتحركة ، اللهم الا حينما كانوا يجـدون فيها بعض القرائن الخارجية التي تكشف عن أصحابها ! وهكذا كان ضحك الأفراد متوقفـا على حدسهم بجنسية أصحاب تلك الفكاهـات ، دون أن يكون هنـاك أي ترابط مطرد بين شـدة ضحكهم وبين الجنسية الحقيقية لكل فكاهة من الفكاهات التي كانت تعرض عليهم ! ومعنى هذا أن عامل «الجنسية» ليس هو العامل الحاسم في تحديد نوع الفكاهة (أو الرسم المضحك) الذي يستجيب له هذا الشعب أو ذاك بالضحك .

بيد ان هذا لا يعني انعدام كل صلة بين الفكاهة والجنسية ، فانه لا يزال على الباحثين في مضمار الدراسات السيكولوجية التجريبية أن يحاولوا الكشف عن تلك السمات النوعية الخاصة التي تمتاز بها «الروح الفكاهية» عند كل شعب من شعوب العالم على حدة . وقد قام كاتب هذه السطور بدراسة مقارنة من هذا القبيل للروح الفكاهية في كل من مصر والسودان ، فاستطاع ان يتوصل الى عجز كل من الفريقين (الفريق المصري والفريق السوداني) عن استخلاص نكاته الأصلية من بين ما عرض عليه من فكاهات ، ولكنه لم يلبث أن تحقق من وجود فوارق نوعية بين «العقلية المصرية» و «العقلية السودانية» في الاستجابة للمنبهات المضحكة ، والتأثر ببعض العناصر الفكاهية ، دون غيرها من العناصر الأخرى . ولا شك أن نتائج أمثال هذه الدراسات المقارنة لا يمكن أن تجيء صحيحة أكيدة ، الا بعد أن يكون الباحث قد استوفى شتى الشروط العلمية اللازمة للتحقق من صحة مواده ، والتثبت من دقة أجهزته في البحث . ويومئذ قد يحق لنا أن ننشر على الناس نتائج مثل هذه الدراسة التجريبية للروح الفكاهية في بلدين عربيين متجاورين .











محب الحكمة

بقلم الاستاذ عزت محمد ابراهيم

لم يقل عن نفسه انه حكيم ، ولكنه كان يقول انه فيلسوف أو محب للحكمة ، واعجبته حكمة مكتوبة على هيكل دلفى «اعرف نفسك بنفسك» فاتخذها لنفسه شعارا ، وهاديا ينير له ظلمات سبيله .

وهي عبارة قصيرة ، الا انها تتضمن من المعاني ما يحتاج شرحه الى صفحات ، فاذا عرفت نفسك ، وعرفت حقيقتها عرفت مدى امكانيتها ، ومدى ما تستطيع ان تحملها من تبعات .

وأحسب أنك قد عرفت في محب الحكمة هذا سقراط الفيلسوف اليوناني القديم . وقد نشأ سقراط في عصر كان السوفسطائيون قد أشاعوا فيه النكر واكثروا فيه الفساد . وانتهوا الى مثل ما انتهى اليه جورجياس في قضاياه الثلاث الشهيرة ان «لا شيء موجود ، وان كان هناك شيء فلا سبيل الى معرفته ، ولو عرفناه فليس في مقدورنا أن نعرف به الآخرين» .

وهم يبذرون بذور الشك في كل تربة ، ويعلمون الناس الخداع والعبث بالعقول ، وانكار الحقائق في أسلوب يمتاز بالبهرج ويتسم بالزخرف الخادع ، يسهل لهم به الوصول الى قلوب الناس دون عقولهم ، ثم هم يتقاضون على ذلك كله أجرا . وكان سقراط قد سلك مسلك غيره من شبان عصره فتلقى تعليمه كما يتلقون ، واستمع الى دروس هؤلاء السوفسطائيين ، ولكنه لم يتقبلها كما تقبلها غيره ، وانما هاله أمرها ورأى فيها الفساد كل الفساد ، والخطر كل الخطر على القلوب والعقول جميعا واذا ترك وشأنه عظم أمره ، واستشرى خطره ، فوقف دون هذا الخطر ، يحول بينه وبين الاستشراء ، ويحول بينه وبين الأثينيين أن يستهويهم خداعه ، أو يعجبهم زيفه وبهرجه ، ثم ترك كل ما له من شؤون ، وما ألقى عليه من تبعات ليفرغ لهذا الأمر دون غيره من الأمور ، فهو يغشى الاسواق ، ويسير في الشوارع يعلم الناس الحكمة كما يراها هو لا كما يراها هؤلاء السوفسطائيون ، وليس له من أداة تعينه على ذلك سوى سلامة المنطق وقوة الحجة ، فهو لا يعرف الزخرف اللفظي ، ولا قوة البلاغة ، أو روعة البيان ، ولكنه يستعيض عن ذلك بأسلوب ساخر مع من يجادله ، حين يدعي الجهل مع من يسأل أو يجادل ، وحين يثبت لمن يسأل أو يجادل خطل ما يرى من آراء . ثم هو بعد ذلك يعلمه الحق ويدله عليه .

وكان سقراط يختلف عن السوفسطائيين في كل شيء ، فبينما هم سوفسطائيون أو حكماء لا يبيح هو لنفسه أن يكون اكثر من محب للحكمة ، وبينما هيبياس يزهو اختيالا بجميل مظهره ، وحسن شارته وبزته ويتيه بأنه يعلم كل شيء وهو في حقيقته لا يعلم شيئا ، بينما كان هذا هو حال هيبياس ، نجد سقراط عطلا من كل هذا ، وها نحن نرى انتيغون يهاجمه بأنه يرضى الخشن من الحياة ، ويستطيب الغليظ من الطعام ، ويستخدم صيفا وشتاء معطفا واحدا ، وانه لا ينتعل شيئا في قدميه ، ولا يلبس قميصا ، وانه يعلم خلطاءه وتلامذته فن الشقاء اذا كان يدعوهم الى مثل ما هو عليه .

وقد آمن سقراط آخر الأمر بأنه أكثر أهل أثينا حكمة فعلا ، لا لشيء الا لأن أهل أثينا يجهلون كل شيء ، وهو يعلم شيئا واحدا ، هو أنه لا يعلم شيئا . ولم يترك سقراط كتبا مؤلفة ، ولا مراجع ثابته ، وانما وصلت الينا آراؤه وافكاره عن طريق تلامذته وأشهرهم أفلاطون في «محاوراته» واكزانافون في «ذكرياته» ثم أثرت هذه الآراء والافكار على العقلية الأوربية تأثيرا كبيرا ، حتى ليتفق مؤرخو الفلسفة على أنه كان مؤسس الفلسفة في العالم الغربي كما يقول اندريه كرسون .

ولكن لا ينبغي أن يبعد بنا القول فلا نقف قليلا عند رد سقراط على انتيغون ، فهو يلخص بعض أفكاره الفلسفية ، ويبلور أهم ما فيها ، وأول ما نلاحظه في ذلك الرد هو ايمانه بالقناعة «لأن القناعة هي المصدر الحقيقي لأكبر لذة ، ولأنها هي التي تعلمنا الصبر حين تلح حاجتنا علينا ، ولأنها وحدها هي التي يمكنها أن ترشدنا الى اللذات الحقيقية» ، وان على المرء أن يأكل ليعيش لا أن يعيش ليأكل .

وسقراط لا يشعر بشيء من الحرمان بالرغم من شظف عيشته لأن نمط حياته الذي يحياه يكفل له ضرورياتها ، فطعامه لا يقل عن طعام انتيغون من الناحية الصحية أو الناحية الغذائية ، ولباسه يكفل له الوقاء من البرد والحر ، فهو لم ير معتصما في بيته من البرد أو منازعا أحدا الظل اذا اشتد الحر ، وهو يستطيع أن يذهب حيث يشاء فلا يمنعه ألم في قدميه . وهذا حسبه من الحياة ، واذا كان انتيغون يحرص على ما هو فيه من ملاذ ، ويتشبث بها ، ويهاجم من ينصرف عنها ، فذلك لأنه لا يعرف آمالا أعذب ، واكثر وقعا في النفوس .

«أترى لذة تضارع الأمل في أن يصبح الانسان اكثر عزة وكرامة وأن يصادق أفاضل الناس ؟ ذلك

هو الأمل العذب الذي يرافقني طيلة حياتي» .

وانتيغون يرى السعادة في جمع مال ، وتوفير اسباب الرفاهية لنفسه واحاطتها بأسباب الزهو والخيلاء ، وسقراط لا يراها في شيء من ذلك ، انه يراها في القناعة أيضا :

«ليست السعادة اكتناز الذهب والفضة ، ولكنها في سلوكنا الحكيم تجاه حاجتنا ورغباتنا» .

وهو يخطىء قول انتيسثين في قوله بأن موطن الثراء والفقر في بيوتنا ، فيقول انه في نفوسنا ، وليس في بيوتنا ، فالهدوء النفسي وراحة البال هما غاية ما ينبغي أن يسعى الانسان اليه .

والفضيلة هي سبب آخر من أسباب السعادة عند سقراط ، فاذا كانت هي أمل الأنسان وضالته المنشودة ، فان الفضائل هي الطرق الموصلة اليها ، والسبل المهيئة لها .

ولو اقتصرت فلسفة سقراط على هذه المعاني لا تتعداها الى غيرها لكان من المحتمل أن يدعه الاثينيون يعيش في أمان من بطشهم ، ولكنه تعرض لهذه الفئة التي اتخذت من تزييف الحقائق وسيلة من وسائل كسبها حتى ليعلن أحدهم جورجياس أن هز المشاعر ضرورة لازمة لكسب الرأي والتحكم في العقيدة ، وأن يؤلف ترازيماخوس كتابا عن «فن اثارة الشفقة» وقد تعرض لأولئك الساسة الذين لا يعتقدون انهم اخيار الا لمجرد اتقانهم صناعة الكلام ، وتخصصهم في «البلاغة العاطفية» ، وتعرض لقوانين الدولة بسخرية لاذعة مرة حين هاجم طريقة الأثينيين في اختيار حكامهم ، فهم يكثرون التدقيق حين يختارون حدادا أو نجاراً لأعمالهم الخاصة ثم يستسلمون للبخت أو القرعة في اختيار حكامهم .

وكان لا بد للاثينيين أن يحزموا أمرهم تجاه هذا الخطر الداهم الذي يحمله اليهم فرد واحد ، خلو من ذلاقة اللسان ، وقوة البيان ، وهو مع هذا قد حمل شطرا كبيرا من شعب أثينا على الالتفاف حوله ، والاستماع الى آرائه وفلسفته .

وأثار أنتباههم اليه أن اتخذه ارستوفان ، شاعرهم المسرحي الشهير ، موضوعا لمسرحياته ، فصوره في مسرحية «السحاب» في صورة مضحكة رث الثياب ، حافي القدمين ، يتخطف الناس في الأسواق ليرغمهم على سماع أحاديثه ، ودرس فلسفته أو حكمته .

وامتدت سخريته الى تلامذته فصورهم على غير حقيقتهم منحطين من سفلة الناس ، وضالة المجتمع ، ضعاف البنية ، شاحبي الوجوه . ويطالب ارستوفان في نهاية مسرحيته بأن «العدالة تتطلب حرق سقراط وتلامذته ومدرسته» .

وربما كان هذا أول هجوم تعرض له سقراط ، وتبعه هجوم أنوتوس الذي أحنقه تتلمذ ابنه عليه ، فأغرى به شاعرين مغمورين أقاما الدعوى ضده متهمين اياه بأنه «ينكر طرق العبادة في أثينا ، ويفسد الشباب بتعاليمه» .

وقدم سقراط الى محكمة حكمت عليه بالموت بتجرعه سما يسري في اوصاله ، ولو أراد سقراط أن يتجنب هذه النتيجة لاستطاع ، أو أراد أن يحول بين نفسه وبين الموت على هذا النحو لأمكنه ذلك ولكنه عزف عن أن يدفع عنه أحد ما اتهم به ، كما جرى العرف بذلك لأنه انكر أن تدفع عنه تلك التهم بالوسائل التي انفق حياته في محاربتها : زخرف القول ، والبلاغة العاطفية ، وفن اثارة الشفقة . فقد قيل ان المحامي لوسياس كان قد أعد خطبة رائعة لدفاعه عن سقراط ولما قرأها عليه لم يجد منه قبولا لها ، فان أسلوبه جميل حقا ، ولكنه لا يليق بالحكماء أو محبي الحكمة ، وعرض غير لوسياس الدفاع عنه فلم يكن حظه خيرا من حظه ، وسمع من سقراط قوله :

«ألا تعلم يا بني أن كثيرا من الأبرياء ماتوا ضحية اعتزازهم بكرامتهم أمام القضاء ، وان هؤلاء برأوا كثيرا من المجرمين لأنهم تضرعوا اليهم ، وطلبوا منهم الرحمة ، أو لأنهم سحروهم بحسن بيانهم وفصاحة كلامهم ؟»

وهزأ سقراط من قضاة المحكمة فأثار حفيظتها نحوه ، وكان أمرها في العصر اليوناني أن يطلب من المدعي اختيار العقوبة التي يريدها وأن يطلب الى المدعى عليه اقتراح العقوبة التي يرتضيها لنفسه ، فطلب الخصم الموت لسقراط ، وطلب سقراط ساخرا أن تعوله الدولة مدى حياته لانه انفق الشطر الاكبر مما مضى منها في تعليم الأثينيين . وقد حفظ لنا أفلاطون دفاع سقراط عن نفسه في احدى محاوراته ، وهو دفاع يستحق الوقوف عنده حقا ، فهو لم يعتمد فيه على روعة البيان ، ولا على تزويق الكلام ، وانما اعتمد فيه على الحق الصراح وحده :

برئوني أو لا تبرئوني .

ولكن تأكدوا أنني لن أغير من مسلكي قط .

هكذا يبدأ سقراط دفاعه عن نفسه ، غير منكر للتهمة لأنه لا يراها تهمة وانما يراها – عكس ما يراها خصومه وقضاته – واجبا نبيلا يقوم به حيال بني وطنه .

وهو يفترض في دفاعه ما يلقى عليه من اسئلة ، ثم يجيب عليها بما يلائمها من اجابة .

فرب قائل يقول : أما تخجل يا سقراط من أنك قد سلكت في الحياة مسلكا يعرضك لخطر الموت ؟

ويجيب سقراط على سؤاله المفترض قائلا ان سائله على خطأ حين يظن أن رجلا من ذوي الشأن يجب أن ينفق وقته في تدبر احتمالات الحياة والموت بدلا من أن ينفقه فيما ينبغي وهو التأكد من أن ما يفعله حق او باطل .

وأية روعة تلك في أن ينبذ سقراط فكرة العفو عنه اذا اشتريت بثمن انصرافه عن رسالته ، والنكوص عنها ، أو اشترطت بشرطها ؟

«ان هذا الشرط أيها القضاة اذا أردتم أن تملوه علي لتبرئوني فلا يسعني الا أن أقر بفضلكم ، ولكنني لن أطيعكم» .

وقد كان في وسع سقراط أن ينجو من الموت الذي حكم عليه به حين ألح عليه تلاميذه في قبول فكرة الهرب ، وقت انشغال الأثينيين بعيد من أعيادهم ، ولكنه رفض ، وهو أمر موافق كل الموافقة لخلق سقراط ، وليس فيه ما يدعو الى الاستغراب كما يذهب الدكتور طه حسين مذهبا ينكر عليه فيه أن يثور على قوانين أثينا أول الأمر ، فيقف لها بالمرصاد ، ويحاول أن يقيم ما فيها من اعوجاج ، ثم يجل هذه القوانين ويحترمها حين تقضي عليه بالموت .

والأمران جد مختلفين ، فهو في الحالة الأولى صاحب رسالة لا يشك في صحتها ولا يشك في ضرورة القيام بها والنهوض بأعبائها ، وهو في الثانية قدوة حسنة لتلاميذه ، وكيف يكون أمره معهم ، وكيف تكون ذكراه في نفوسهم ، وهو الذي أفنى حياته في تعليمهم الخلق القويم ، اذا جزع من الموت ، وارتاع لمقدمه ، وهاله أمره ، او كيف يكون حاله اذا ولى مدبرا من سجنه في خطة غير مأمونة عواقبها ، وهو الى هذا كله قد بلغ السبعين من عمره فهو هامة يومه أو غده ان لم يمت بالسم في يومه مات كما يموت غيره من الأحياء بغير سم في غده .

ما كان لسقراط أن يفعل شيئا من ذلك ، فهو يقدم على تناول السم في شجاعة نادرة ، ويرى أصدقاءه وتلاميذه يبكون فينهرهم قائلا : «ما هذا العويل ، لقد صرفت زوجتي وقريباتي حتى لا أسمع ذلك» ويخجل تلاميذه من أنفسهم فيسكتون بعد أن تعلموا من أستاذهم هذا الدرس الأخير في الشجاعة والجرأة على مواجهة الموت .



رجل طوله ستة اقدام وسيارة طولها ١٢ قدما استعملا كقياسين للمقارنة بينهما وبين ست من اسماك القرش الضخمة المختلفة الانواع والاحجام . عن كتاب «ظلال في البحر»

بقلم الدكتور هارولد ماكورميك
ونوم ألن

ذات يوم ، اراد سائق سيارة اسعاف عسكرية غسل سيارته في مياه نهر قارون ، الذي يمر في بلدة الاهواز التي تبعد حوالي ٩٠ ميلا عن مياه الخليج العربي الملحة . اوقف السائق سيارته في المياه القريبة من الشاطىء ، ثم خلع جواربه وحذاءه ، ونزل الى الماء الذي لم يكن عمقه يزيد على قدم واحد تقريبا .

وما أن بدأ يغسل سيارته ، حتى أحس فجأة بشيء ما يقبض بشدة على رجله اليمنى ، الأمر الذي أخرج الرجل عن توازنه ، وجعله يترنح من شدة الألم ، وهو يحاول الدفاع عن نفسه بيديه ورجليه ، دفاع المستميت ضد خصمه الذي لم يكن غير سمكة قرش (جرجور) ضخمة . لقد كانت تلك المعركة معركة حياة أو موت بالنسبة للسائق الذي استطاع أن ينجو بنفسه بعد أن اختفى القرش فجأة مثلما بدا ، تاركا خلفه خصمه مطروحا في المياه الضحلة التي خضبها الدم ، بينما ساقه اليمنى مقضومة بشكل مرعب ، وذراعه اليمنى مهشمة وتكسو جسده خدوش كثيرة أنزلها به جلد القرش الذي يشبه ورق الصنفرة في خشونته .

هذا الرجل الذي كتبت له النجاة ، هو واحد من بين ٢٧ رجلا وامرأة وصبيا ، كانت أسماك القرش قد هاجمتهم في مياه نهر قارون بين عامي ١٩٤١ و ١٩٤٩ ، الفترة التي حفظت السلطات العسكرية خلالها سجلات رسمية عن اعتداءات أسماك القرش . وقد كان حوالي نصف هذه الهجمات موديا بحياة الضحايا ، بينما حدث معظمها على غرار ما حدث لسائق سيارة الاسعاف وكان من نتائجها جروح وعضات حصلت في المياه الضحلة القريبة من الشاطىء .

وليس نهر قارون هو النهر الوحيد على الخليج العربي الذي يفضله القرش ، وانما هناك اسطورة تؤكد سفر اسماك القرش ، منذ قرون خلت ، الى بغداد ، مسافة ٣٥٠ ميلا عبر نهر الفرات ، لتطعم على بطيخها اللذيذ الطعم . وقد أكدت الدراسات الحديثة صحة هذه الأسطورة ، مع انه ليس من الضروري ان يكون البطيخ هو السبب في سفر اسماك القرش الى بغداد .

ويقول الدكتور «ه. بلاغفاد» ، البحاثة الدانماركي في علم الاحياء البحرية ، في بحثه عن اسماك الخليج العربي ، وبنوع خاص ، اسماك القرش النهرية : «في كل عام يقع ضحية هجمات أسماك القرش عدة أشخاص معظمهم من الأطفال . وأكبر الظن ان أسماك القرش الكبيرة لا تجد طعامها بكثرة في الانهار مثلما تجده في البحار ، وهذا ما يفسر لماذا تكون اسماك القرش في الانهار اشرس منها في البحار حيث صيادو اللؤلؤ لا يخافونها .»

ويفاجأ الناس برؤية أسماك القرش في الأنهار ولا سيما أولئك الذين يعتقدون أن هذه الأسماك لا تعيش الا في المياه الملحة . وهكذا تكون أسماك القرش مدهشة بقدر ما هي شرسة ، وتكون الحقائق عنها غامضة غموض الاساطير .

وأسماك القرش من أكثر الحيوانات تكيفا ، وأجلدها على تحمل قساوة الحياة . فلقد استطاعت فصائلها ان تعمر مدة ٣٠٠ مليون سنة دون ان يطرأ عليها اي تغير خلال هذه العصور . هذا ، وقد وجدت أسماك القرش في البحار القطبية والمياه الاستوائية ، وفي المياه الضحلة والمياه العميقة ، وفي المياه الملحة ، والمياه العذبة على حد سواء . فحتى الآن لم يستطع أحد تحديد عدد فصائلها ، اذ لا يزال العلماء يواصلون جهودهم في البحث عن فصائل جديدة منها في مياه المحيطات العميقة ، وفي مياه الانهار الاستوائية أيضا .

وتتفاوت أسماك القرش في الحجم ، الا ان اضخمها بل أضخم الأسماك على الاطلاق هو فصيلة منها معروفة باسم «القرش الحوت» ، الذي يبلغ طوله ٤٥ قدما ويزن اكثر من ١٣ طنا . (الحوت الازرق الذي يبلغ طوله ١١٠ اقدام ، والذي يعد أكبر مخلوق في البحر ، لا يعتبر أكبر الأسماك ، لأنه من الحيوانات الثديية) . وهناك أيضا أسماك قرش صغيرة لا يتجاوز طول البالغ منها ١٨ بوصة . ويوجد في أماكن عميقة من المحيط الهادي بعض الاسماك التي تحمل أوصاف سمك القرش المعروفة ولكن حجم أكبرها لا يزيد على ثلاث بوصات .

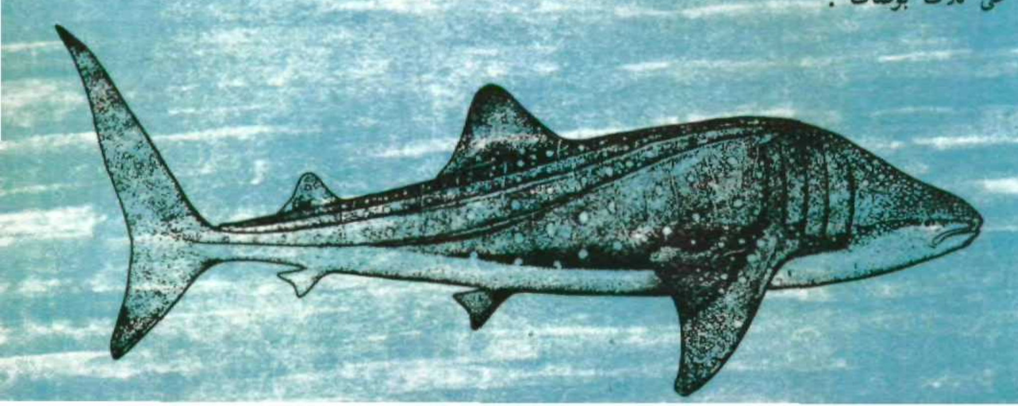
وقدرة اسماك القرش على البقاء حية لا تضاهى . فأثناء قيام أحد كاتبي المقال برحلة لصيد اسماك القرش في جزيرة «لونج ايلند» بنيويورك استطاع ان يصطاد سمكة قرش ، ولكنه لم يتمكن من اخراجها من الماء ، فاضطر وهو في غمرة صراعه معها الى قطع رأسها ، وبينما كان الرأس يتقافز في المركب ، كان ذيل السمكة وبقية جسمها يتهادى في الماء وكأن الرأس لم ينفصل عنه ! وقد ذكر اثنان من العلماء الخبراء بأمور أسماك القرش ، وصفا لمحاولة قتل قرش يكاد يكون عاصيا على الموت : «لقد رأينا قرشا يصاد بالصنارة ، ثم تطلق عليه عدة طلقات نارية من بندقية حربية ، ثم يطعن بالرمح ، ثم يسحب الى ظهر السفينة فتشق بطنه ، وتستخرج أمعاؤه ، ويبقى — مع هذا — حيا لمدة طويلة ، يضرب بذيله ، ويفتح فمه ويغلقه ، بينما عيناه خاويتان من أي تعبير .»

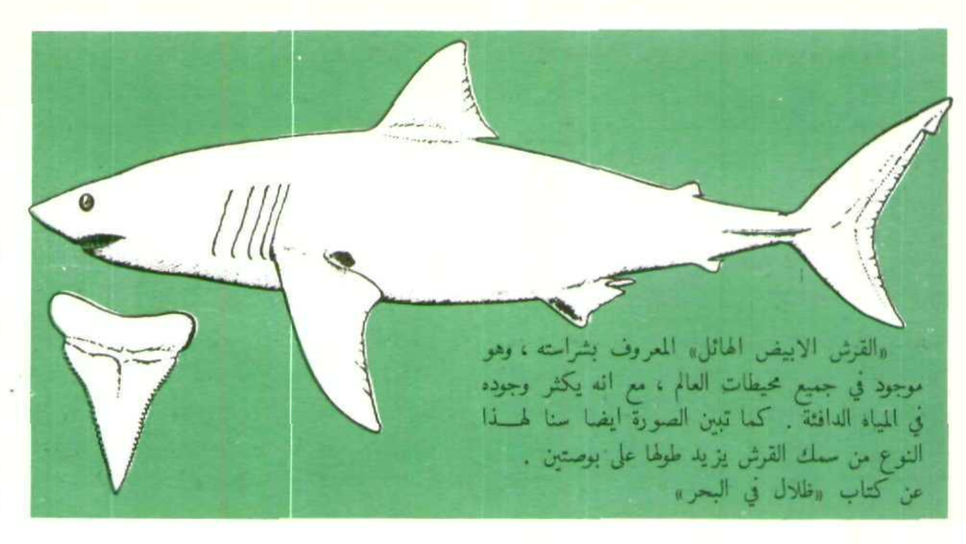
يغطي جسد القرش عادة «أسنان» دقيقة حادة تجعل جلده أشبه ما يكون بأوراق الصنفرة . وقد كان الصيادون ، في عهد السفن الشراعية ، يستعملون جلد القرش القاسي في عملية تنعيم ظهر السفينة الخشبي ، كما استعمل جلده ، مدة طويلة في عملية تنعيم مقابض السيوف أيضا ، وكان ذلك سببا في زيادة ثمن شرائها .

اما أسنان سمك القرش المشهورة ، فهي مصففة بترتيب ونظام ، ويزيد عددها على ألف سن ، ومعظمها مجهري الحجم لا يرى بالعين المجردة . وبعض أنواع أسماك القرش يستعمل خمسة صفوف من الاسنان ، تستجيب عندما يشعر بالخوف ، لأوامر العضلات ، فتنتصب وتنخفض حسب ما تقتضيه الحاجة . ويوجد خلف الاسنان الامامية التي تبقى في حالة تأهب دائم صف فوق صف من الاسنان الاحتياطية داخل الفكين . فعندما تتلف احدى الأسنان أو تفقد ، تحتل مكانها سن أخرى من الاسنان الاحتياطية . وأسنان القرش في تعاقب مستمر ، تتحرك السن النامية منها باتجاه مقدمة الفكين .

وليساند الأسنان الحادة عند أسماك القرش الكبيرة ، كـ«القرش النمر» ، فكان قويان هائلان . وهذان الفكان ينفتحان بشكل يتيح لهذا النوع من سمك القرش ، ابتلاع رأس حصان كامل دفعة واحدة ، وقد وجدت فعلا

القرش الحوت وهو اكبر سمكة عرفتها البحار . يقدر معدل طوله بـ ٣٢ قدما ، وقد يصل احيانا الى ٧٠ قدما تقريبا ، ولكنه لم يعثر بعد على سمكة وصل طولها الى هذا الرقم الاخير . عن كتاب «ظلال في البحر»





«القرش الابيض الهائل» المعروف بشراسته ، وهو موجود في جميع محيطات العالم ، مع انه يكثر وجوده في المياه الدافئة . كما تبين الصورة ايضا سنا لهذا النوع من سمك القرش يزيد طولها على بوصتين . عن كتاب «ظلال في البحر»

جمجمة حصان ، في بطن قرش لا يزيد طوله على ١١ قدما . وقد يمر رجل خلال فكي القرش الضخم دون أن يلامسهما ، حتى ولو كان بدينا يبلغ محيط خصره ٤٠ بوصة . فاذا صادف أن أطبق الفكان على الرجل ، فانهما يقطعانه الى نصفين ، وقد حدث ذلك فعلا .

وهذا ما يدعو احدنا الى التساؤل : كيف احتاط لنفسي من خطر أسماك القرش هذه ؟ والجواب الصحيح الموثوق به هو انه — لسوء الحظ — لا يمكنك وقاية نفسك من أسماك القرش كليا ، بيد أنك تستطيع أن تعلم ماذا حدث أثناء الحوادث الحقيقية ، علك من خلال معرفتك بذلك ، تستطيع أن تحتاط لنفسك وانت في الماء .

حتى عهد قريب ، لم تكن هنالك معلومات علمية وافية عن اعتداءات اسماك القرش . الا أن مثل هذه المعلومات تزداد في الوقت الحاضر باستمرار ، بفضل سجلات تدونها جمعية امريكية يتولى علماؤها مهمة جمع الحقائق عن اعتداءات أسماك القرش في العالم بأسره .

ومن خلال البحث في المجلات الطبية القديمة ، وفي سجلات السفن ، وفي سجلات الاطباء والمستشفيات ، وفي ملفات الصحف في مختلف انحاء العالم ، تمكنت الجمعية المذكورة من جمع معلومات وافية عن ١٢٥١ حالة اعتداء يمتد عهدها حتى عام ١٥٨٠ للميلاد . ومن خلال هذه المعلومات استطاعت الجمعية استخلاص ٧٩٠ حالة من حالات الاعتداء هذه واعتبارها مصدر ثقة لدراسة شاملة موثوقة . وهكذا اسفرت دراسة الجمعية عن الحقائق التالية :

أ — من اصل ٧٩٠ حالة اعتداء ، وقعت ٥٩٩ حالة منها دونما استفزاز .

ب — من الاشخاص المعتدى عليهم ، ٤٠٨ لاقوا حتفهم ، و ٣٨٢ منهم تماثلوا للشفاء .

ج — وقع ٧٥,٤ في المائة من الاعتداءات في اشهر الحر المعروفة باسم «اشهر اعتداء اسماك القرش» وهي نفسها الاشهر التي يمارس الانسان فيها رياضة السباحة وركوب القوارب .

د — كانت معظم الاعتداءات على اناس يبعدون ما لا يزيد على ٣٠٠ قدم عن الشاطىء .

هـ — حدث ٧٠,٢ في المائة من الاعتداءات في المياه الضحلة التي يقل عمقها عن خمسة اقدام ، بينما ٢٤,٩ في المائة من المصابين كانوا في مياه يتراوح عمقها بين مستوى الركبة ومستوى الكتفين .

ز — كان معظم المعتدى عليهم (٦٣,٣ في المائة) يسبحون على سطح الماء اثناء الاعتداء ، بينما كان ٢٠,٨ في المائة منهم يخوضون الماء ، و ١٩ في المائة يصطادون الاسماك ، او يحملون اسماكا مصيدة ، و ١٠,٣ في المائة يقفون في مكان يجري فيه صيد الاسماك ، او كانوا بالقرب من سمكة مارة قبيل الاعتداء .

وقال الدكتور ل. ب. شولتز ، كاتب تقرير الجمعية : «ليس لدينا الدليل على ان لونا معينا من الثياب ، او الجلد ، له اهميته في استمالة اسماك القرش الى المهاجمة والاعتداء . مع ان الاجسام المضيئة اللامعة والألوان المتباينة تجذب انتباه اسماك القرش . وعلى كل حال ، فان معلوماتنا في هذا المجال ، لا يجوز اعتمادها ، في الوقت الحاضر ، كمصدر ثقة يمكننا من استنتاج العوامل الفيزيائية .»

وليس هناك أي وقاية ضد اسماك القرش . فالمواد التي تعتبر منفرة للاسماك لا يمكن الاعتماد عليها ، حتى ان بحرية الولايات المتحدة ، تقول في نصائحها للغواصين : «في الوقت الحاضر لا فائدة من المواد المنفرة لأسماك القرش ، لأنه عندما كانت أسماك القرش تفتش عن طعامها من مكان تتوفر فيه كميات كبيرة من الطعام والدم ، جرب أحد صيادي أسماك القرش المحترفين أقوى المواد الكيميائية المنفرة لأسماك القرش ، فتبين له انها عديمة الفعالية ، حتى ان بعض اسماك القرش اخذ يبتلع علب المواد المنفرة نفسها !

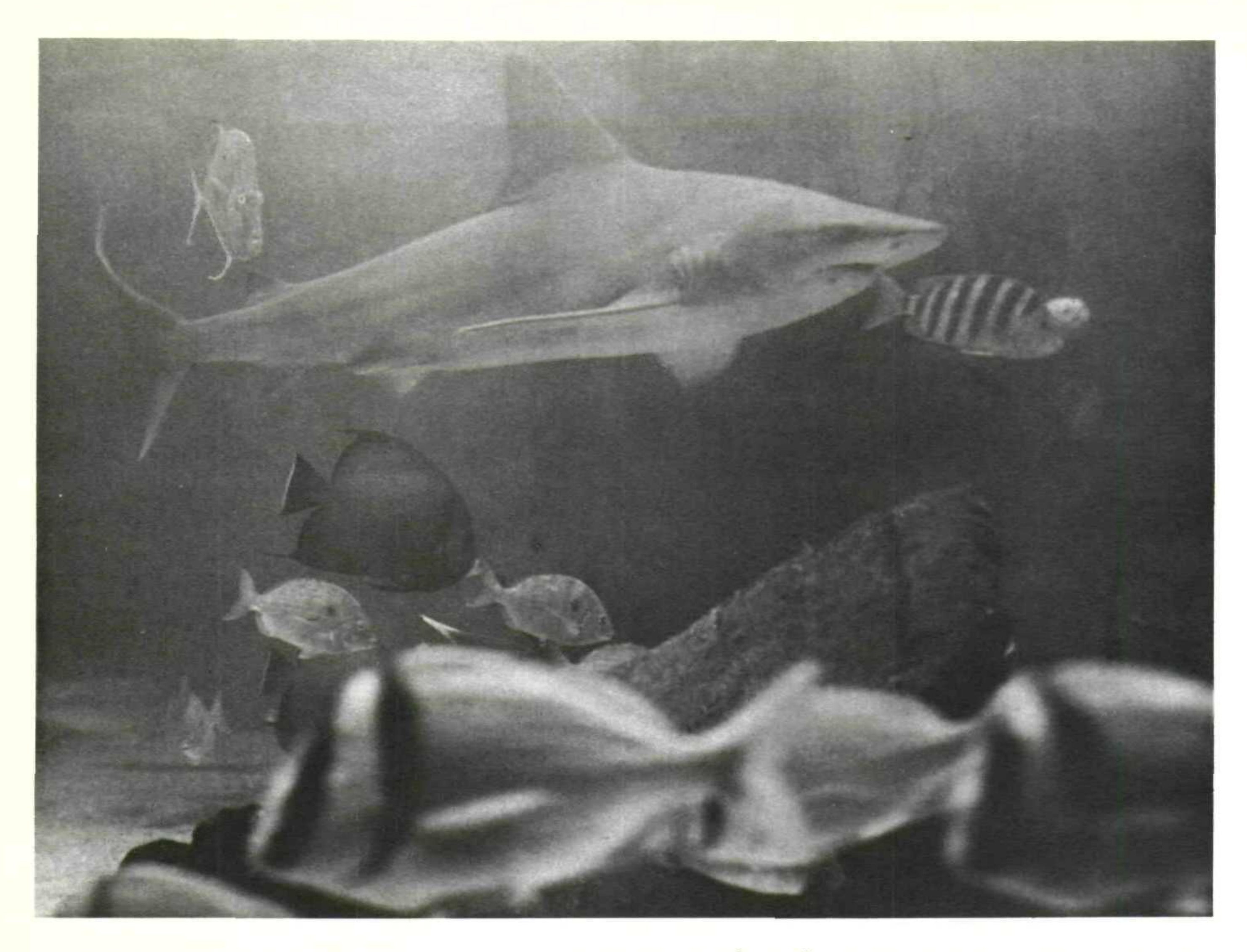
بيد أنه هنالك نصائح تقيك من أخطار اسماك القرش وهي : لا تقفز الى الماء من قارب ، حتى ولو كنت في الميناء . لا تتعلق بسفينة وتدعها تسحبك على وجه الماء ، لانك تبدو أثناء ذلك — لأسماك القرش على الاقل — شبيها بالسمكة . احترس اثناء وجودك في قوارب صغيرة سبق أن هاجمتها اسماك القرش ، فلقد جاء في أحد تقارير الجمعية الامريكية المذكورة ان مجموعة من هذه الاسماك استعملت قاربا صغيرا يحمل شخصين ، كلعبة ممتعة ، اذ شرعت تلف به وتفتله حول نفسه . اما بالنسبة للغطس من القوارب فتقول تقارير الجمعية : «لدينا عدة وثائق عن غواصين هاجمتهم أسماك القرش في اللحظة التي كانوا قد دلفوا فيها الى الماء .»

لا تسبح بمفردك . هذه نصيحة مفيدة حتى في برك السباحة ، الا انها مفيدة بصورة خاصة بالنسبة للوقاية من أخطار اسماك القرش لانه عندما يكون لديك رفيق ، فانك تضمن على الاقل وجود من يعاونك لو تعرضت لحادث اعتداء . (ليست جميع اعتداءات اسماك القرش مميتة . ومعظم المصابين يتماثلون للشفاء اذا ما توفرت لهم العناية الطبية الصحيحة) .

وبما ان الخبراء يلاقون عناءا كبيرا في معرفة أنواع اسماك القرش ، فانه لا فائدة من محاولة شرح كيفية التفريق بين فصيلة من أسماك القرش واخرى . وبما انه ليس هنالك فصيلة واحدة من اسماك القرش يمكن نعتها بصفة «عدم الخطورة» فمن الاجدى والأسلم اعتبار جميع اسماك القرش خطرة .

ومما لا شك فيه ان اكثر اسماك القرش خطورة

هذا القرش الذي يدعى علميا «كركاريس مونوسوزا» هو نفسه القرش الذي يوجد في الخليج العربي ويمكن ان يكون من الفصيلة نفسها التي تدخل نهر قارون في الاهواز ونهر دجلة في العراق .



قرش صغير يسبح بين عدد من الاسماك . (U.S. FISH WILDLIFE SERVICE)

هو النوع المدعـو باسم «القرش الابيض العظيم» والموجود في جميع مياه العالم . وهو يعرف ايضا ، باسم آكل الانسان ، وفي بعض المناطق باسم الموت الابيض .

والقرش الابيض من أشد أسماك البحار ضراوة وأكبرها حجما . اذ يصل طولها بالتحديد الى ٣٦ قدما ، بل قد يصل الى ٤٠ قدما ونيف . هذا ، ويصل وزن القرش الابيض الى ٧٠٠٠ رطل او يزيد . اما اسنانه الحادة المتراصة كأسنان المنشار ، فيصل طولها ، في بعض الاحيان الى بوصتين . ويستطيع القرش الابيض الهائل ، ابتلاع أسماك القرش الأخرى التي يتراوح حجمها بين ٤ و ٧ أقدام . أما لون هذا القرش فيتحول تدريجيا من اسود الى رمادي من الاعلى ، فالى ابيض لماع من الاسفل . هذا ، ويرتفع عوامه الظهري الاسود فوق سطح الماء أثناء تجواله .

وتتوفر عشرات فصائل القرش المختلفة في مياه الشرقين الادنى والاوسط . بينما يوجد كثير منها مثل «القرش الحصاد» الطويل الذيل ، والقرش – الحوت الضخم ، والقرش الابيض العظيم ، والقرش الغريب الشكل الذي يشبه رأسه المطرقة ، في مناطق اخرى من العالم . بيد ان المعلومات المتوفرة عن اسماك القرش الموجودة في الشرقين الادنى والاوسط ، لا يمكن اعتبارها مصادر ثقة .

واثناء جمع المعلومات اللازمة عن اسماك القرش ، للكتاب المعروف باسم «ظلال في البحر» ، قام كاتبا هذا المقال بجولة في مختلف بلدان العالم ، ثم وجدا نفسيهما بحاجة الى دراسة اسماك القرش في المياه المحيطة بالجزيرة العربية . وكما يبدو لهما ، هنالك شك في وجود فصائل غريبة لم يسبق ان اكتشفت بعد في هذه المياه .

ان كاتبي المقال يرحبان بأي معلومات جديدة تتعلق في هذا الموضوع ، يتكرم القراء بموافاتهما بها على العنوان التالي :

Dr. Harold W. McCormic
11 Riverside Drive
New York 23, New York

قصة من الخليج العربي

كانت مراكب الغوص تبدو كنقط بيضاء في الافق البعيد ، ومع ذلك فقد بقي بعض النسوة والأطفال يشيعونها بأبصارهم الشاخصة ، وقلوبهم الواجفة ، ودعواتهم الضارعة ، يداخل رجاءهم طيف من اليأس ، ويدفع قنوطهم بارق الأمل والاتكال على الله ... وعادوا في الطريق المغبرة المرملة وطفل صغير لا يزال يلوح بمنديله ، ولسانه يردد ، دون فهم لما يقول ، مقطعا من اغاني البحر طالما سمع والده ينشده وهو متفيء ظل الجدار او مستسلم لراحة القيلولة في يوم قائظ تحت سقف بيته الذي كاد لتواضعه يلامس الارض :

زاد العنا بالضمير وما شفت راحلي والهم بحشاي نساني الــذي راح لي
يوم شفت عيسهم يوم النوى راحل ناديت : يا جيراني ابكم غرامي وفي
وعلى ثوب المذلة من جفاكم وفي بالله سيروا على مسراي ياهل الوفي
لاني ضعيف وضالع بينكم راحلي

وتابع الركب سيره صامتا حزينا ، وآثار الدموع ما زالت تلتمع في المآقي ، وفي النفوس مرارة ، وفي القلوب حرارة ، والسكون رواق امتد بعيدا حتى شمل في طياته السفن التي غابت تماما عن الانظار ...

ولم يشق قلب هذا السكون الا كلمة الرحمة التي انفرجت عنها شفتا العمة العجوز مريم الدرداء ، التي كم وقفت تلك الوقفة على الشاطىء ورجعت عنه ، حتى صارت تلك الوقفة جزءا من حياتها الباسلة الصبور ، لا تهزها النوائب بأرزائها ، ولا تستخفها الافراح بمتعها ، حتى لكأنها ليست من أبناء هذا التراب الذي كم شهد من ملاحم ، وارتد عنه مغيرون ، وتخاذل مستكبرون ...

وصمتت العجوز التي كان يبدو للجميع انها ان خطت خطوة اخرى في احشاء الزمن كانت من سكان السماء ، ثم هتفت مشجعة :

– ما لكن صامتات ساهمات يا صبايا ... ان ابناءنا يعيشون الآن أعراس الامل ، وسيرجعون قريبا سالمين غانمين ...

وقطعت عليهـــا حديثها عروس الحي مي زوجة «النوخذة»(١) مصطفى التي لم تهنأ بزواجها الا منذ أيام قلائل ، وها هو زوجها يركب البحر الذي ابتلع في العام الفائت اخاها ابراهيم .. لقد قطعت عليها حديثها لا بالكلمة المفصحة ، وانما بالعبرة التي لم ترتح على خدها ، فانفجرت ناحبة صائحة :

– ولكنه البحر ... يا عمة مريم ...

وكان هذا النحيب كان على موعد مع الزفرات المكتومة في الصدور المحرجة فلقيت المتنفس الطبيعي لها ... بيد ان العمة المؤمنة الصبور ذات الثأر القديم مع البحر الغضوب ، والأسماك والحيتان ، والشراع الممزق ، والسفين المفككة الالواح ، والدثر المتناثرة – عرفت كيف تحبس العاصفة ، وتدخل الطمأنينة الى القلوب الحزينة والنفوس الولهى ، بتلك الآية التي تلقى بها زوجها الراحل التقي عبد الخالق نبأ وفاة وحيده فؤاد :

«قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ...»

ودلفت العمة مريم من مي تهدىء من روعها ، وتمنيها باليسر والرخاء ، وترجو لها الله ان يرزقها غلاما جميلا يملأ بيتها بالبهجة والسرور ، مواسيا وحدتها كلما غاب عنها زوجها ، وما زالت تصف لها مغانم البحر ، متجنبة ذكر مغارمه ، وخبرة زوجها مصطفى واقدامه ، ذلك البحار الشجاع الذي أحبه الغواصون ، واعتـــبره «السيوب»(٢) بمثابة الاب لهم ، ورقص الطواشون في يوم عرسه ... ولم تشعر مي الا ويدها تتحسس على غير ارادة منها مكان العقد الذي وعدها به ، وبقصور الامل ترتفع شاهقة أمام عينيها الدامعتين ...

* * *

ألقت سفينة مصطفى بمراسيها في البحر على أول خيط من النور شق قلب العتمة .. والنعاس لا يزال آخذا بمعاقد الأجفان الوسنى ، والنوخذة الباسل يتهجد بآيات من الذكر الحكيم تتلقفها النفوس الواعية ، والقلوب المتفتحة ، ولا سيما عقول اولئك الصبية – التبابنة – ربابنة المستقبل الذين من أحلامهم العريضة أن يغدو أحدهم مثل العم مصطفى رغم انه ما زال في مقتبل العمر وميعة الشباب .

(١) آمر المركب – اصطلاح محلي .

(٢) اصطلاح محلي يقصد به مساعدو الغواصين .

وتنبه بعض الغافلين على صوت مصطفى الذي ارتفع مرددا :
«الله لا اله الا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ...»
ودبت الحركة في السفينة ، ونشط الذهاب والاياب ، كأنما البحارة والغواصون يتجولون في سوق من أسواق المدينة ... وانتشروا جميعا على أطرافها حتى الصبية الصغار يتوضأون ليؤدوا فريضة الصبح .. ثم انتظم عقد المصلين وراء الامام مصطفى ، وتلا الامام الفاتحة بصوت هادىء خاشع ، ثم قرأ قوله تعالى :
«والذين كفروا ، أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب .»
وكان ركوع وسجود وابتهال .

وما ان انفرط عقــد الصلاة حتى تعالى الصياح من جديد في الســفينة ، واخذ الصبية يروحون ويجيئون متنقلين ما بين مركز المؤونة والخوان الممتد على الارض وقد اخذت تعلوه الصحون والارغفة المحمصة ، وتناثرت بعض حبات التمر هنا وهناك ، والبحارة يستعجلون تناول وجبة الفطور ، بينما يحرص الغواصون على الاقتصاد في طعامهم ، لا بخلا او تقتيرا ، وانما خوفا على اجسامهم ان يثقلها الطعام ، فتفتر منهم الحركة ، ويخف النشاط . لكنهم حاذروا كذلك ان يسرعوا بالقيام عن المائدة وينفضوا من حولها ، لأن تلك الحركة سيعقبها تراجع السيوب عن الطعام ، ثم انهم لا ينسون ابناءهم الذين يجب ان يأخذوا كفايتهم من الطعام ... وكان هؤلاء الاطفال قد التفوا مرحين حول الخوان ، الا طفلا منهم كثير الحركة يدعى خالد لم يكد يتبلغ ببضع لقيمات حتى ألقى بنفسه في اليم ، وراح يسبح عائما غائصا مسابقا السمك ، ومقلدا اباه عليا ، حتى اذا ما داخله بعض التعب ، استلقى على ظهره جامد الحركة كأنه نائم في فراشه ، ولم يتحرك الا عندما شعر بسمكة تتحسس جسمه بعضة لم تقطع عليه أسباب احلامه فقط ، وانما آلمته ألما شديدا كان رجعه صرخة اطلقها من اعماقه ، وبحركة غريزية استقبل الماء بصدره يعمــل يديه المعروقتين القويتين كأنهمـــا مجذافا زورقه الصغير الذي كم ابتعــد به عن الشاطىء رغم تحذير أبيه ... وما ان وصل الى السفينة حتى تلقاه العم مصطفى بالمسح على رأسه الصغير الكثير الاحلام ..

* * *

وقام السيوب الى حبالهم ، وانطلق بعض التبابنة الصغار يحملون ألواح الحجارة التي تساعد الغواصين على أداء مهمتهم ، وبعضهم الآخر يحمل الخزامات الخشبية التي يضعها الغواصون على انوفهم قبل الغوص ، وبدأت اجساد الغواصين النحاسية اللون تلتمع تحت اشعة الشمس لا يغطيها سوى سراويل سوداء يقال ان الحيتان وكلاب البحر تنفر من لونها فتبتعد عن اصحابها ...
وتم تأهب الغواصين واستعدادهم بعد ان شدوا الحبال في اوساطهم ، وارتفعت بسملة جماعية ، وغابوا جميعا في اعماق الماء ، ووصلت الى آذان السيوب نصف آية قرآنية بدأها الغواصون : «قل هو الرزاق ...» فاتمها السيوب هاجسة بها نفوسهم المطمئنة الى رحمة الله : «ذو العرش العظيم» .
وبلغ الغواصون قاع اليم حيث انتثرت قطع المحار ، واخذوا يلتقطونها بايديهم الماهرة الصناع ، وقلوبهم مفعمة بالآمال العريضة والاحلام الحلوة .. هذا يحسب أن يديه (فاضتا) بالاموال ، وذاك تطوف بمخيلته صور اولاده وقد نعموا بالثياب والالعاب ، وذلك لا يرجو الا ان يتلقى تاجر الحي الذي يستقبله بتحية الرجاء فيؤديه حسابه السنوي ليعود بعد ذلك فيرى كيف تراكم من جديد فاتورة الحساب ...
وآخر ينطوي صدره على أسرار يأبى أن يكشف عن مكنونها الا على كيس النقود المفعم يطرحه في حجر عمه الطواشي الذي يحرص على ابنته حرصه على حبات اللؤلؤ الثمينة التي يحملها الى الهند .

واهتزت الحبال في الأعماق ، فكانت بمثابة التنبيه للسيوب المرهفي الاعصاب ، فاخذوا يستعجلون بجذب تلك الحبال وكل منهم كتلة عصبية متوترة في شحنة روحية ملتهبة ، يعتمدون قوة الساعد المنقبض والمنبسط على الخوف والامن والياس والرجاء ، والمربوط لا اراديا بقوة الايمان الذي يبعث فيه النشاط ويضاعف الامل على رؤية تلك الرؤوس الشمطاء تطفو على سطح الماء ، كل رأس بمحاذاة سلة المحار التي قد تنطوي على ثمين الكنوز وقد تنتشر عن فارغ الاحلام في بارق السراب .
كانت تلك الاجسام المحروقة المقرورة – والسماء ترسل لافح شواظها ، والبحر يتنهد تنهدا عميقا بارتفاع الموج وانخفاضه – لا تستقر على سطح المركب الا هنيهات قليلة ريثما تفرغ السلال ، وتعدل من وضع الخزامات على شامخ الانوف ، لتعاود الانزلاق تحت سطح الماء بخفة السمك في البحر وانقضاض الطير في الجو ، لتلامس قاع اليم ، تحرث مواطن كنوزه حرثا ، وتعزق حقوله الخصبة عزقا ، وما من آلة لها أو عدة غير تلك البنان النشطة الخبيرة التي كأنما فيها سر من اسرار ايماض الفكر المضيء بشعاع الذكاء .
وعندما بلغ عدد الغوصات عشر مرات تحلقت تلك الاجسام التي اضناها التعب واجهدها الارهاق حول المدفأة التي تتراقص ألسنتها لافحة محرقة كأنما تتحدى وقدة الشمس ، والسيوب أبدا أعصاب متوترة سواء انبسطت عضلات سواعدهم أو انقبضت ، فهي اما جاذبة للحبال او متربصة للجذب ، وسلال المحار صاعدة هابطة متلازمة الظهور فوق المياه والغياب في عبابها مع تلك الرؤوس الشمطاء ، حتى مال ميزان النهار ورمقت ملكة السماء غوارب الدأماء نظرت تقطر من اعماقها حمراء قانية كما لو سالت كبدها على آماقها ... ونام البحارنة على الامل الهاجع في اعماق الصدف .

وكان نهار جديد افتتح بالصلاة فالتحلق حول المحار تعالجه تلك الأنامل الرشيقة رغم تشنجها ، وما لبثت الابتسامات الرقيقة ان زايلت تلك الوجوه التي بلورتها الحياة فاكتسبت طابعا من الصرامة على غير عنف في النفس ، وان نورت على ثغر من تلك الثغور ابتسامة فلكي تبرعم لحظة على زاوية الشفتين ثم تزول قبل ان تعرف سبيلها الى الاعماق ، اذ لم تتفتح تلك المحار على تتابع الايام ، بعد ذلك الجهد وهاتيك الاتعاب ، الا عن لؤلؤة صغيرة ضئيلة الثمن أو مشوهة لا قيمة لها ، حتى كاد بريق الأمل ينطفىء في النظرات انطفاءه في الثغور ، ولم يكن لينتشل تلك النفوس من قنوطها وكآبتها الا صوت النوخذة الواضح النبرة الموزون الكلمة : «ولا تقنطوا من رحمة الله ، فانه لا يقنط من رحمته الا القوم الفاسقون» .
وتتالت اسابيع والغواصون في نضال مستمر ، يقتلعون المحارات من مهاجعها ، فلا تتفتح لهم الا على خيبة الامل ، حتى تجهمت الوجوه بعد اشراقها ، لكن بريق الايمـــان ما زال أبرز مخــايلها ، ولم ينقطع البحارنة عن العمل اليومي الا لأداء الفرائض وتأدية الشعائر . لكن حركة الصبية قد فترت غريزيا ، فما عادوا يكلمون آباءهم الا باصوات قريبة من الهمس ، بينما كانت اهازيج الفرح واغاني المرح تعمر الكثير من المراكب المنتشرة في عرض الخليج ..



بقلم الاستاذ قدري قلعجي

وانتقل النوخذة مصطفى بمركبه من منطقة الى ثانية فثالثة من مناطق الغوص ، لكن دون ان يبتسم له الحظ او يؤاتيه حسن الطالع فأخذ السكون شيئا فشيئا يشمل مركبه من اولى ساعات المساء ، كأن من فيه قد اجتمعوا في مأتم ، على حين كان صخب الحياة وضجة السرور ، ومتواصل التصفيق المنسجم واهازيج الدبكة او النقر على الرقوق والضرب على الطبول ، يكاد يتفجر في كل ناحية من نواحي هذا البساط من المراكب التي غطت عرض الخليج ، كأنما اقيم على صفحة الماء معرض دولي . ومصطفى لا يستسيغ ايقاعا لنغم أو شدوا من غناء ، بل كان يحسب ان ذاك الغناء وتلك الموسيقى يكادان يزلزلان مركبه زلزالا ، يحاول النوم فلا يجد سبيلا لناظريه ، ويغلق اجفانه موهما نفسه بالرقاد لكنها تأبى عليه الا تحديقا في نجوم السماء ، فيغلبه السهاد مؤرقا مهموما لا يستقر على جنب الا لينقلب الى آخر ، يحاول التصامم عن الغناء فلا يستطيع ، وتأبى الموسيقى الا الانسياب الى مسامعه ...

وفي ذات صباح استيقظ البحارة ونفوسهم مثقلة بأعباء ثقال ، ونهض مصطفى وقد دب فيه نشاط جديد ، ولما هم البحارة بالوضوء استعدادا للصلاة ، هتف النوخذة بهم :

– نحن الآن في منطقة جديدة ، وقد انقضى شهر لم نجن فيه من اللؤلؤ الا القليل ، فليكن يومنا هــذا يوم عمل نشيط ، ولنقبل عليه حالا دون ان نضيع الوقت في الصلاة .

ودهش البحارة لهذا الأمر يصدر عن النوخذة مصطفى الذي عرفوه مثالا للورع والتقى ، ولكن لم يسعهم الا ان ينفذوه ، وخف كل منهم الى عمله المحــدد له ، وابتلعت اعمــاق اليم اجساد الغواصين ، وتراكم المحار في قاع السفينة ...

وشد ما كانت دهشتهم وقد بدأوا يتفحصون محصول ذلك اليوم ، حين التمعت في كف احدهم لؤلؤة ثمينة تساوي كل ما تجمع لديهم من لآلىء خلال ذلك الشهر الجاهد الشاق .

وأمسك مصطفى باللؤلؤة يتأمل فيها مبتسما وهو يردد :

«وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ...»

ووقف عند هذا الحد من الآية الكريمة ، وصمت وقد امتقع وجهه وذوت الابتسامة التي ازهرت على شفتيه ، واذا بتتمة الآية تنساب على شفتي سيوب عجوز قضى أول شبابه غائصا وانتهى به الأمر – بعد أن هزل منه الجسم وخارت قواه – لان ينقلب الى سيوب ، ولكن نفسه ظلت عامرة بالايمان على الرغم مما كابد من الحرمان .. وتناهى صوته الضعيف الى نفوس اخوانه وهو يكمل الآية :

«وما تدري نفس بأي ارض تموت» .

فصاح الجميع بصوت واحد :

– صدق الله العظيم ...

واذا باللؤلؤة التي انقبضت عليها كف مصطفى تلمح في الجو آخذة سبيلها الى البحر .

وخاطب النوخذة رجاله وهو يشيح بانظاره عنهم لئلا تلتقي عيناه بعيونهم :

– لا تغضبوا ايها الاخوان .. فهذا كسب حرام لم يباركه الله لأننا لم نبدأ عملنا فيه بالصلاة .

* * *

لم يغضب البحارة لفقد اللؤلؤة الثمينة التي قضوا في انتظارها اياما طويلة من العمــل الشاق وليالي حــافلة بالهم والقلق . وعــاد الغواصون الى اعماق الماء وقد اشرق الايمان في نفوسهم ، وجدد من عزائمهم ، واسرع التبابنــة الى شباكهم وصنابيرهم ، ليصطادوا بهــا السمك تحضيرا لطعام العشاء .

وأخذ السيوب احمد يشق احشاء سمكة كبيرة كم فرح اذ اصطادها وهو يجرها الى قاع السفينة يتبعه باقي الصبية ... واذا به يصيح فرحا :

– وجدتها ... وجدتها ! ..

وتحلق البحارة حول الفتى ، واذا بهم يرون في يده تلك اللؤلؤة الكريمة نفسها وقد اخرجها من جوف السمكة ... فعقدت الدهشة ألسنتهم لا يدرون ما يقولون .

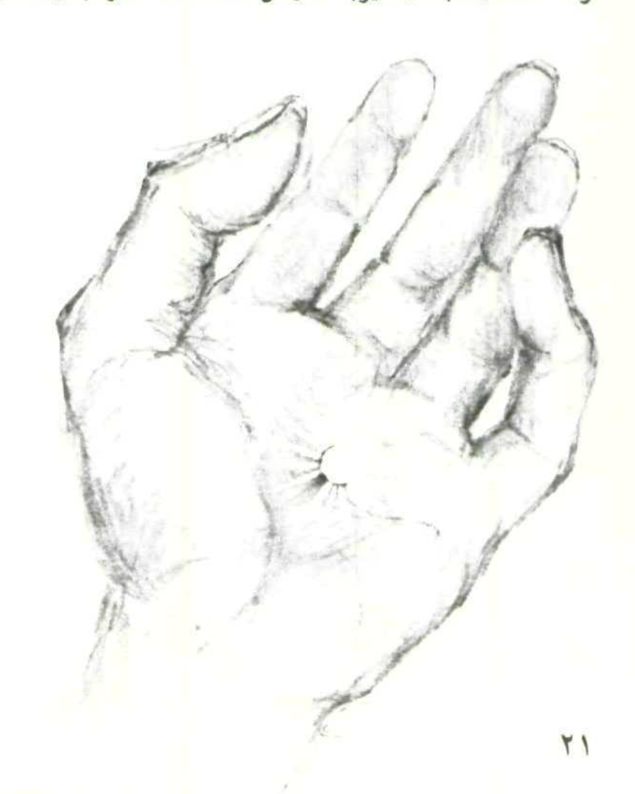
وجعل النوخذة مصطفى يقلب اللؤلؤة في كفه وهو فرح بها ، ثم قال مخاطبا اخوانه :

– لقد شاء الله ان يرد اليكم لؤلؤتكم الثمينة لانها ثمرة عملكم وجهدكم .

وتهامس البحارة فيما بينهم ثم قال كبيرهم مخاطبا النوخذة :

– انها هديتنا اليك بمناسبة زفافك يا عم مصطفى ، لا نريد من قيمتها شيئا !..

وفي فترة من فترات الأمل المتراقص في عيني مي عروس الحي ، بعد عودة مراكب الغوص سالمة غانمة ، تذكرت الصبية كلمات العمة مريم ، ورفعت يدها على غير ارادة منها الى موضع العقد من جيدها وابتسمت ابتسامة راضية محببة ...



مناهل من جمر

للشاعر المهجري الياس قنصل

قضيت حياتي هائماً برغائب   تحير في تحديد أوصافها فكري

تلوح لعيني كالسراب لتائه   تغلغل في أوصاله ظمأ القفر

امد يدي ابغي جناها فتختفي   كما تختفي الاسرار في مكمن الصدر

واهرب منها راضياً بسلامتي   فتترك مأواها وتركض في أثري

ترافقني في يقظتي ، وتعودني   اذا نمت ، احلاماً ، لها وحشة القبر

ولو كان في بذل المساعي وصالها   لما عاقني عن وصلها غضب الدهر

ظننت جلال الفن يبعد طيفها   فصال على شعري ، ودمدم في نثري

ولذت بسحر اللحظ والخد واللمى   فلم يجد ما في الغانيات من السحر

وقلت لعل الكد يبرىء علتي   فألهو بما فيه من العسر واليسر

فألقيت ذاتي في عباب نزاعه   تقاذفني الامواج بالمد والجزر

ولكن جهودي كلها ذهبت سدى   وظلت دياجي التيه حولي بلا فجر

فيا رب ما ركبت بين اضالعي   أذا خفقان أم مناهل من جمر ؟

وهل ابدعت كفاك دنيا جديدة   احن الى آفاقها دون ان أدري

شقيت بنفس عن ثراها غريبة   تكابد من جسمي ضروبا من الاسر

طلاسم آمالي تجرعني الأسى   وشوقي الى المجهول يمعن في قهري

وأصعب أشكال التعاسة وحدة   وحولك ، لو يرضيك ، ما شئت من بشر



بقلم الاستاذ رضوان ابراهيم

يحدث التاريخ ان كل امة نامية تبدأ طريقها بالتعرف على جهود الامم التي سبقتها في مضمار الحضارة . تتلقى عنها ، ثم تتفاعل معها ، ثم تتكىء اخيرا على الجهود الذاتية التي اكتسبتها بالتجربة والممارسة .

واولى خطوات التعرف هي الترجمة ، باعتبارها النافذة المفتوحة على عقول الآخرين ، والوسيلة لاضافة الافكار والتجارب الحضارية الجديدة الى مقتنيات الأمة الناهضة .

حدث ذلك على امتداد مراحل التاريخ ، كما حدث للأمة العربية منذ انطلقت خارج حدودها الجغرافية والعقلية ، واكتملت صورته في العصر العباسي ، حينما فتحت كل النوافذ على حضارات الهند والصين وفارس في المشرق ، والحضارتين اليونانية والرومانية في المغرب .

وكان نشاط الترجمة وازدهارها يومئذ وسيلة لاثراء اللغة والادب والفكر باضافة حصيلة هذه الحضارات الى رصيد العبقرية العربية الخصبة ، التي اضافت الى التراث البشري زادا جديدا مفيدا في الرياضيات والطبيعيات والطب والفلك والمنطق والفلسفة ، وعصمت الفكر الانساني من الضياع حينما احتضنت التراث الحضاري ومنحته طاقات هائلة من الحيوية والفاعلية والتطور .

ثم كانت الترجمة هي الشعاع الفكري الذي تسلل الى الامة العربية من خلال ظلام القرون ، حينما بدأت حركتها الجديدة على يد رفاعة الطهطاوي وزملائه من المبعوثين الاوائل الذين اطلعوا على ألوان من الحضارة الاوروبية ، ونقلوا الكثير منها الى العربية ، استجابة لمتطلبات النهضة التي استيقظت عليها البلاد العربية في اعقاب الحملة الفرنسية .

والتقت حركة رفاعة وما تبعها من انشاء مدرسة الألسن في مصر بحركة الارساليات والمدارس في الشام ، فحينما كان رفاعة معنيا بنقل علوم الطب والهندسة والرياضة والزراعة والقانون والعلوم السياسية والعسكرية استجابة لمقتضيات بناء الدولة الجديدة في مصر ، كان السوريون الذين هاجروا اليها يعملون في حقل الصحافة والادب والتمثيل .

وكان دخول المسرح في الادب العربي بدعة جديدة استدعت نقل الكثير من القصص والمسرحيات على يد اديب اسحق ، وفرح انطون ، وسليم نقاش ، ويعقوب صنوع وغيرهم ، وكان ذلك نقلة جديدة في الترجمة من حيث مضمونها وشكلها ، اذ اتجهت الى نقل المشاعر والاحاسيس والصور بعد نقل العلوم والمعارف ، كما اتجهت الى الاسلوب السهل الميسر بعد ان كان رفاعة وزملاؤه يثقلونها بالسجع والمحسنات والغريب من الالفاظ ، وكان الذي نقله هؤلاء كافيا لاغراء الجيل الجديد بما في الادب الأوروبي من صور جديدة ، ورومانتيكية جذابة ، فنقلوا كثيرا من صور هذا الادب ومضامينه عن طريق ما سموه «التعريب» او «الترجمة بتصرف» ومن رواد هذه الحركة مصطفى لطفي المنفلوطي ، الذي استطاع — رغم جهله باللغات الاجنبية — ان يطوع هذه المضامين لأسلوبه العربي المشرق الجذاب .

ثم جاءت مرحلة تالية عندما اتسعت القاعدة الثقافية ، وانشئت الجامعات ، وكثر المبعوثون للقيام بالدراسات الجامعية المنظمة ، الامر الذي اقتضى مزيدا من النشاط في حركة الترجمة ، وخاصة في القانون ، والاقتصاد ، والاجتماع ، والطب ، والزراعة ، والهندسة ، والكيمياء ، والعلوم الطبيعية لمسايرة التعليم الجامعي ، وسد حاجاته من المراجع الاصيلة .

ولقد اتسمت الترجمة في هذه المرحلة بسمات الاسلوب العلمي ، وما يستتبعه من الحيدة والنزاهة واحترام النص .

وكان هذا النشاط الذي شهده عصرنا في ميدان الترجمة ذا اثر عميق في نهضتنا الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، تجلى بشكل واضح في النواحي التالية :

— التأثر بالروائع الادبية والفنية ، ومحاولة تطبيق المذاهب النقدية الحديثة على الادب العربي وفنونه .

— اقتباس الافكار والآراء السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وتطويرها بما يلائم البيئة العربية .

— التأثر العميق بمفاهيم الديمقراطية والحرية السياسية والاجتماعية .

— الانتفاع بالتنظيم والقوانين والمذاهب الاجتماعية والاقتصادية في تشكيل حياتنا الجديدة .

— متابعة النشاط العلمي والصناعي في العالم ، ومحاولة اللحاق بالتطورات السريعة في علوم الذرة والفضاء .

وهذه النتائج كان من الطبيعي ان تحدث آثارها ، وتتغلغل في حياتنا بعد ان طالعتنا امهات الكتب ذات الاصالة في الفكر الانساني مترجمة الى لغتنا ، نذكر منها على سبيل المثال كتب «الابطال» لكارليل ، و «الحرية» لجون ستيوارت ميل ، و «جمهورية افلاطون» ، و «الاخلاق» لأرسطو ، و «روح القوانين» لجوستاف لوبون ، و «سر تقدم الانجليز السكسونيين» ، و «الالياذة» لهوميروس ، و «دائرة المعارف الاسلامية» ، و «تاريخ العلم» لسارتون ، ثم نظريات اينشتين ومن تلاه من علماء الذرة المحدثين ، وغير هذه وتلك من المؤلفات التي جعلتنا نعيش في صميم تجربة عصرنا بعمق .

وكان اثر الترجمة في لغتنا واضحا في اصلاح المعاجم القديمة وتطويرها ، والبحث عن اشكال جديدة لمعاجم متخصصة تستجيب لدواعي الترجمة والتعليم ، وتسعف باللفظ او العبارة الملائمة ، ثم في التزاوج واللقاح الذي لا بد ان يحدث نتيجة لاحتكاك اللغات .

وآخر يتصل بتنظيم النشاط في ميدان الترجمة ، هو قيام الهيئات المتخصصة الاهلية والرسمية الى جانب الافراد ، مثل لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ومؤسسة فرنكلين ، ودار الشرق ، والمكتبة الدرامية ، وروائع المسرح العالمي ، بالاضافة الى ادارات الترجمة ولجانها بالوزارات والمؤسسات ومجالس الآداب والعلوم ، ومشروع الألف كتاب ، واعادة فتح مدرسة الألسن بعثا لفكرة رفاعة الطهطاوي وتطويرا لمدرسة الألسن القديمة .

وبقي علينا لكي نصل بالترجمة الى اهدافها الكبيرة ان نضع لها التخطيط الدقيق على مستوى البلاد العربية ، وان ننسق بين الجهود المبذولة لسد الاحتياجات الحقيقية للأمة العربية في نواحي الفكر والثقافة الانسانية ، وتلافيا للتكرار والدوران حول النفس ، وطغيان جانب من جوانب المعرفة على ما عداه ، وللقضاء على ترجمة الكتب المنحرفة التي تجافي اهداف الحياة السوية ، وسد الطريق على الترجمات الضعيفة ، والسطو على الروائع العالمية ومسخها وتشويهها .. الى غير ذلك من العيوب الناجمة عن سوء الفهم لوظيفة الترجمة وتبعاتها .

انه ليخطىء من يظن ان الترجمة تؤدي مهمتها بمجرد نقل ألفاظ المعجم ، وأبعد في الخطأ من يظن ان القراءات الخاطفة في التراث الانساني تكفي لحمل امانة الترجمة في امة ناهضة .

انما الترجمة في ابسط مفاهيمها هي فن نقل الافكار ، وهي بهذا تعد من اخطر مسئوليات القلم والضمير ، اذ لا تقل شأنا او معاناة عن مهمة ابتداع الفنون الادبية ، بل قد تكون المعاناة فيها اشق ، والتبعة افدح ، لان الكاتب المبدع غير محكوم الا بصدق التعبير عن نفسه ، او عن الحياة من خلال نفسه .

اما المترجم فمقيد بالنص ، محكوم بأفكاره ومواصفاته ، مطالب بأن ينقل — بأمانة واخلاص — كل ما فيه من نبض الشعور وفيض العاطفة ودقائق الفكرة ، وروعة الاسلوب — الى القارىء الذي منحه كل ثقته ، وائتمنه على مصيره الفكري والثقافي والعاطفي كذلك .

وفن الترجمة — ككل الفنون — موهبة تتفتح على الميل الطبيعي ، والغذاء الثقافي ، تزكيها التجربة والمران الطويل ، حتى تصير فنا يرتفع انتاجه الى مستوى العمل الابداعي الخلاق ، ويقف مع النص الاصيل في لغته الاولى على قدم المساواة . ولهذا لا بد لمن يتصدى للترجمة ، ويحمل مسئوليتها ان تتوفر له مقومات اهمها :

— الثقافة الواسعة العميقة ، والتخصص في الموضوع الذي يترجم فيه .

— التضلع في اللغتين المنقول منها والمنقول اليها ، ومعرفة اسرار التراكيب في كل منهما ومجازاتها وأمثالها ودقائق عباراتها .

— حضور البديهة ، والقاموس المرن الطيع ، والثروة اللغوية الغنية بالمفردات والتراكيب التي تسعف بالتعبير المناسب في الوقت المناسب .

— الأمانة في النقل ، وعدم التدخل في النص بالزيادة او الحذف او التحوير او الهروب من المواقف ، اعتمادا على توهم جهل القارىء باللغة الاصلية ، اذ لا بد ان يكشف مثل هذا التلاعب .

ولا يفوتنا ان نذكر ان الامم المتقدمة — وحتى التي تبدو في غير حاجة الى الترجمة — قد اولت الترجمة كثيرا من عنايتها بوضع التخطيط الدقيق ، وتخصيص الاجهزة المتفرغة ، واللجان الدائمة لتتفادى الاخطار الناجمة عن الانطلاق بلا حدود .

اما اخطاء التنفيذ فقد تلافاها قيام «المحرر» المتخصص في كل فرع من فروع المعرفة في دور النشر ، ووظيفته اخراج النص محررا من كل شوائب الفكرة واللغة والاسلوب ، وليس عمله قاصرا على مؤلفات المبتدئين ، بل ان قلمه ليجول في اعمال كبار الكتاب والشعراء والقصاصين وعمالقة المسرح .

هذا ما يتسع له مجال الحديث عن الجهود البشرية في فن الترجمة ، اما الجهود غير البشرية فقد تسفر التجارب فيها عن الاعاجيب حينما تتكشف عن العقل الالكتروني المترجم .

طرائف

سبب وجيه

زار لويس الرابع عشر مدرسة ، ولما دخل اليها رفع قبعته الا ان المدير لم يرفع قبعته وهو يستقبله . ولما خرج الملك الفرنسي شيعه المدير الى خارج المدرسة وقال : «عفوا يا مولاي ، لم ارفع لك قبعتي كما كان علي ان افعل وذلك اني اردت ان يرى التلاميذ انه لا يوجد من هو اكبر مني ، ليظلوا خاضعين لي متهيبين» .

مسألة فيها نظر

سئلت امرأة سياسي : «لماذا لم يختاروا لرئاسة الجمهورية امرأة قط ؟»

فقالت : «لأن من شروط الرئاسة ان يكون عمر الرئيس قد نيف على الاربعين ، ولن تجد امرأة نيفت على الاربعين» .

الزبون مستعجل

دخل رجل مطعما وبعد ان اصاب من الطعام والشراب حاجته ، قال لصاحب المطعم : «اخبرني اذا دخل احد مطعمكم واصاب فيه حاجته وكان جيبه فارغا ما انتم فاعلون به ؟»

قال : «نصفعه في قفاه وندفعه الى الطريق» .

قال : «عجل بصفعي فأنا على موعد» .

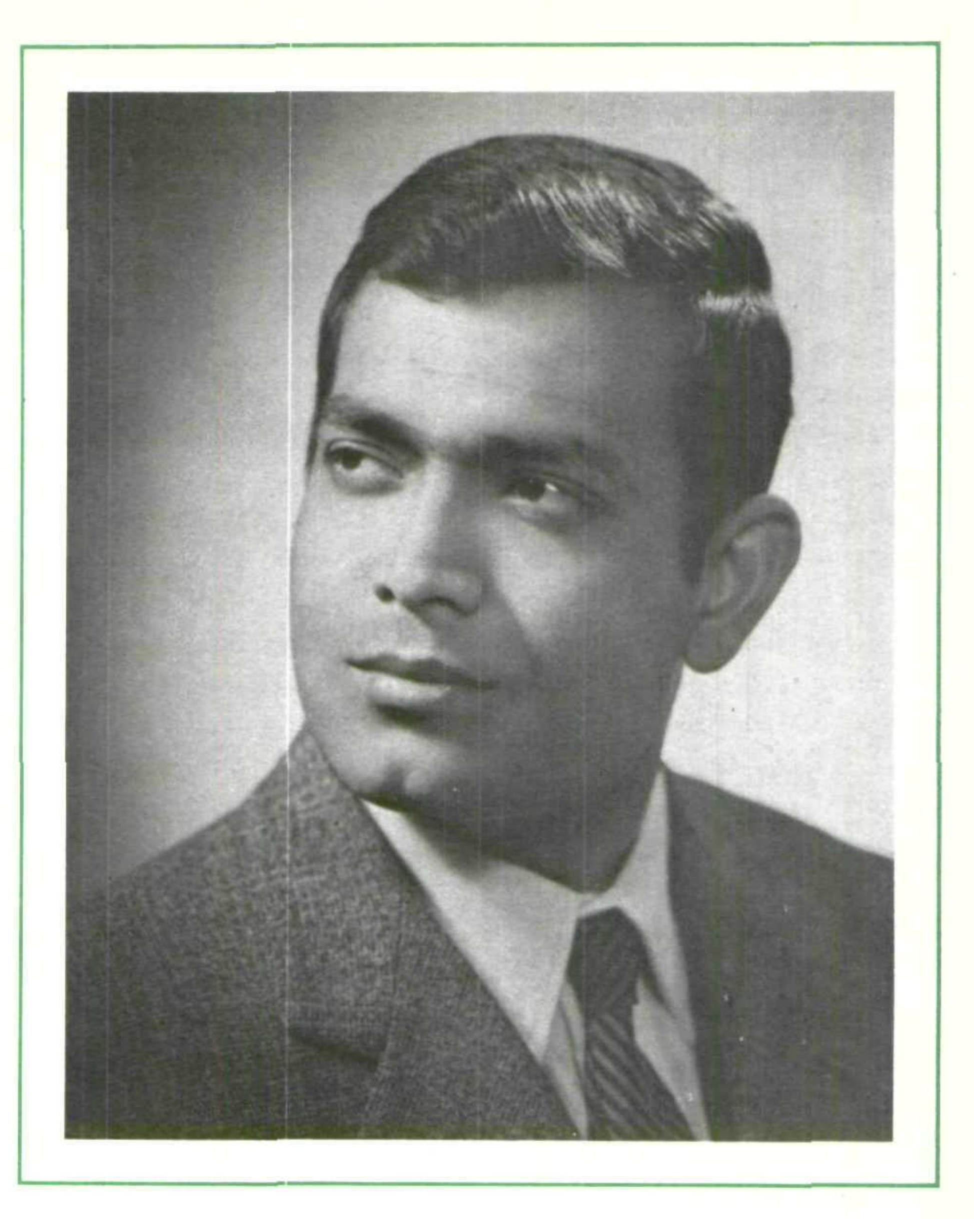
نباهة أب !

خرج لص على رجل وابنه فاخذ كل ما وجد معهما وكذلك العربة التي كانا يركبانها وحصانها ، واخذ الاب يلطم ويبكي ويندب فقال له ابنه : «هون عليك يا ابي ، فقد اخفيت المائة جنيه في فمي» . ولما اخرجها ، قال ابوه غاضبا : «قاتلك الله . الا اخفيت العربة والحصان في فمك ايضا ؟»

بقلم طالب عيسى المشهدي

لكل موهبة من المواهب طابعها الخاص وظروفها المميّزة . فمنها ما يكون ظاهرا تدرك وتلمس نتائجه ، ومنها ما يكون كامنا لا تظهر نتائجه الا بعد توفر الظروف الملائمة ، ولا يمكن تحديد الظروف الملائمة لبروز المواهب اذ انها تختلف باختــلاف الاشخاص ، فالشاعر الموهوب بالفطرة لا نتوقع منه ان يصف منظرا شاعريا لسفينة تتهادى على صفحة ماء البحر وقت الاصيل ما لم تتهيأ له الظروف ويرى هذا المنظر بعينيه ويشعر به بعاطفته . وكذلك الموسيقار الموهوب لا نتوقع منه ان يضع مقطوعة موسيقية ذات اثر ما لم تتح له فرصة تعلم الموسيقى وسماعها والتفاعل معها . وهذا ، بطبيعة الحال ، صقل لمواهبه وبدونه تبقى على شكل مادة خام لا تعطي ثمارها المرجوة .

كذلك فان الحالة النفسية لها تأثيرها الكبير على المواهب سلبا او ايجابا . كما ان الناحية المادية لا يمكن اغفالها لاتصالها المباشر بتوفير الاسباب لصقل المواهب . على ان بعض المواهب تتحدى جميع الظروف المحيطة مهما كانت شائكة ، وتبرز على الرغم من كل الصعاب والعقبات . ولا ادل على ذلك من قصة ذلك الفتى الذي حدا به طموحه وسارت به موهبته من اضيق السبل الى ارحب الارجاء ، فدخل عالم الفن من باب مضاء بالامل ومحاط بسياج من الصبر والجلد .



عبد الحليم رضوي

فنان من الجزيرة العربية

ولد عبد الحليم رضوي في مكة المكرمة ونشأ تحت رعاية امه بعد وفاة ابيه . بدأ يعمل منذ نعومة اظفاره ليقي نفسه ووالدته واخوته شظف العيش وقسوة الحياة . وكل ما كان يعوضه عما يتمتع به اقرانه هو عطف امه الرؤوم التي بذلت كل ما في وسعها في اسعاد ابنائها .

ابان هذه الطفولة المحفوفة بالحرمان ، الا من عطف الام ، تلقى الصبي تعليمه الابتدائي في المدرسة الفخرية بمكة ثم انتقل منها الى المدرسة الخالدية ثم الى المدرسة العزيزية حيث حصل على الشهادة الابتدائية . اما موهبته في الرسم فقد اخذت تظهر منذ ان كان طالبا في المدرسة الخالدية عن طريق الخرائط الجغرافية التي كان يرسمها تحت اشراف استاذه عمر أزهر .

وبعد اتمام الدراسة الابتدائية التحق بالمعهد العلمي السعودي بمكة ، على الرغم من ان هذا المعهد لا يتلاءم وميوله الفنيّة . ولكنه نجح في دروسه بالمعهد وحصل على شهادة الكفاءة منه .. ولكن حبه للفن كان يزداد في اعماق نفسه . فكان يمارس هوايته كلما سنحت له الظروف وواتته الفرص .

ثم انتقل عبد الحليم رضوي بعد ذلك الى المدرسة العزيزية ، وحصل على الشهادة التوجيهية منها . وكان خلال دراسته يبرز موهبته الفنية في معارض المدارس حيث حصل على عدة جوائز . وفي سنة ١٣٧٩ هـ اقامت وزارة المعارف مسابقة فنية عامة لطلاب المدارس الثانوية في المملكة وكانت المدرسة العزيزية التي ينتمي اليها هي



١



٢

١ – الخطوط والمربعات والبراعة في توزيع الضوء والالوان ، اكسب هذه اللوحة بساطة في التصميم وشاعرية في التعبير ، فبدت «القرويات» وكأنهن يرقصن على ايقاع الظلال التي اجادت ريشة الفنان في توزيعها في فراغ اللوحة .

٢ – معالي الشيخ عبد الرحمن الحليسي ، سفير المملكة في ايطاليا ، يقدم كأسا فضية للفنان عبد الحليم رضوي بمناسبة نجاح معرضه الذي اقيم في المتحف الفني بروما .

الفائزة في المسابقة وكان هو الفائز الاول بين المتسابقين .

وعمل بعد حصوله على الشهادة التوجيهية فترة من الزمن ليوفر لنفسه مبلغا يواصل به تعليمه ويزداد خبرة في فن الرسم ، ويساعد اهله ماديا . وسافر على حسابه الخاص الى روما ، ولكن الحياة هناك لم تكن ميسرة بالنسبة له بل تطلبت منه كفاحا آخر اضطره لأن يعمل بالليل ويدرس في النهار في اكاديمية الفنون الجميلة . وقد لاحظ نشاطه معالي سفير المملكة العربية السعودية في ايطاليا ، الشيخ عبد الرحمن الحليسي ، فشجعه ماديا ومعنويا ، كذلك اكتشفت الأكاديمية موهبته فقبلته في السنة الثانية بها . وكان هذا التشجيع حافزا له على الاشتراك في عدة مسابقات في روما وغيرها من المدن الايطالية لقي الاستحسان في جميعها . وعمل معالي السفير على ضمه الى بعثة الطلاب السعوديين الذين يدرسون في روما وأصبح اخيرا تحت رعاية المكتب الثقافي السعودي في أوربا .

المعارض التي اشترك فيها

١ – المعرض الدولي الثالث الذي اقيم في روما عام ١٩٦٢ وحصل على الجائزة الثانية ، ميدالية فضية .

٢ – السوق الفنية الدولية في روما عام ١٩٦٢ .

٣ – مسابقة مدينة براتشانو ، وحصل على شهادة تقديرية .

٤ – مسابقة فنية اقيمت في مدينة تيراشينا عام ١٩٦٣ وحصل على كأس فضية . وفي مسابقة اخرى بروما حصل على شهادة تقديرية .

٥ – المعرض الدولي الرابع لعام ١٩٦٣ وحصل على الجائزة الثانية ، ميدالية فضية .

٦ – مسابقة فنية في مدينة بولزينو حصل فيها على الجائزة الاولى ، كأس فضيّة .

٧ – معرض السوق الدولية بروما .

٨ – مسابقة اجريت في مدينة براتشانو عام ١٩٦٤ وحصل على كأس فضيّة .

وقد اقام معرضا للوحاته في متحف لامارجوتيانا عام ١٩٦٣ ، وحصل على ساعة ذهبية من السفير السعودي . وأقام معرضا آخر في النادي العالمي للطلبة الاجانب عام ١٩٦٤ . وكذلك



٣ – الفنان السعودي عبدالحليم رضوي يقوم بوضع اللمسات الاخيرة على احدى لوحاته التي تتسم بالطابع الفني الحديث والتي نالت استحسان النقاد وتشجيعهم .

ما هو الفن التكعيبي ؟

لقد ذكرنا في الكلمة عن الفنان السعودي عبد الحليم رضوي انه من تلامذة المدرسة الفنية التكعيبية ، فما هو الفن التكعيبي وما مميزاته ؟

الفن التكعيبي هو فن تجريدي ناشىء او مستقى من الطبيعة بشكل ما ، هذا التعريف جاء في كتاب «حول الفن الحديث» لجورج فلانجان . وبدأ هذا الفن في الظهور سنة ١٩٠٨ وكان رائده الاول «ماتيس» الذي اعطى هذا الفن هذه التسمية صدفة دون قصد . وقد كان «براك» قد رسم صورا ظهرت فيها منازل الفلاحين على شكل مكعبات فقال ماتيس : «انظروا الى المكعبات الصغيرة» وكان «ماتيس» يميل الى الخطوط المستقيمة اللطيفة ويبتعد عن الزوايا الحادة والاطراف المدببة . وبعد ملاحظته هذه سمي هذا الفن بالتكعيبي .

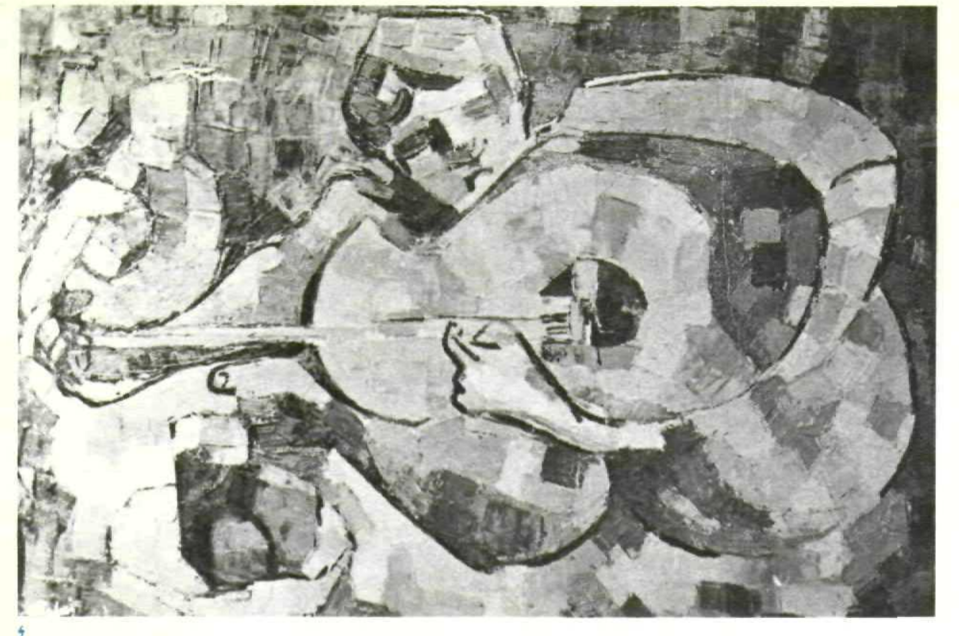
وكانت صور الفن التكعيبي في سنيه الاولى غير واضحة المعالم ثم اصبحت بالتدريج ذات معنى الى ان اصبحت لا تمثل الشكل الواقعي . وأصبحت فيما بعد مجرد ألغاز بالنسبة للانسان العادي . وأصبح في الفن التكعيبي شيء من الابداع والخيال والغرابة . وقد تفوق «بيكاسو» على غيره من الفنانين مثل «بول سيزان» و «ماتيس» و «جورج براك» في ابراز هذه الصفات الثلاث ، لذلك اكتسب لقب الفنان الرائد في مجال الفن التكعيبي . والفن التكعيبي يحتوي على تحريف للاشكال الطبيعية لان التصميم في الفن الحديث ليس نقل الطبيعة ولكن تعقيب الانسان على الطبيعة . اذ ان الطبيعة – على حد قول ويسلر – لا تقدم لنا لوحات فنية ، ومع هذا فهي تحوي من حيث الشكل واللون جميع العناصر التي تحويها اللوحات الفنية . ولكن الطبيعة تحوي هذه العناصر مثلما يحوي السلم الموسيقي جميع الانغام الموسيقية المعروفة ، وعلى الفنان ان يميز بين تلك العناصر او ان يؤلف بينها في مهارة وحذق ، حتى يخرج لنا من كل ذلك اثرا فنيا جميلا ، تماما مثلما يفعل الموسيقار حينما يؤلف بين الانغام الموسيقية ، فيصوغ لنا منها جميعا مقطوعة متناغمة متناسقة يطرب لها السمع .

ويقول فلانجان في كتابه «حول الفن الحديث» ان الرسم التجريدي الذي يشمل الفن التكعيبي هو تصميم صورة او صور ، في مضمونها تصميم وفي عكسها تصميم ... وأول ما يخطر ببال الفنان هو تعديل الاشكال الطبيعية وتحويلها الى اشكال اخرى ، اي الى اشكال اكثر تجريدا وذلك لتركيبها من جديد ، وليحصل في النهاية على الصورة الرمزية ... وقد يصور بعضهم الوجه الطبيعي دون ان يدخل تعديلات تذكر فيما يبدو . وثمة فكرة ذات اهمية كبرى في تركيب الرسم التكعيبي ، وهي فكرة التباين ، ليس في التلوين والقيمة فحسب (مثلا احمر ضد اخضر او اسود ضد ابيض) ، ولكن كذلك بين الخطوط وبين المناطق التي داخل هذه الخطوط . ان اختلاف الخطوط يؤلف في التجريد عناصر جمال الدراما . وهذا يدل على ان الفن الحديث اصبح علما وموهبة ، ففيه مدارس عديدة وله اساليب مميزة ومقاييس معروفة .

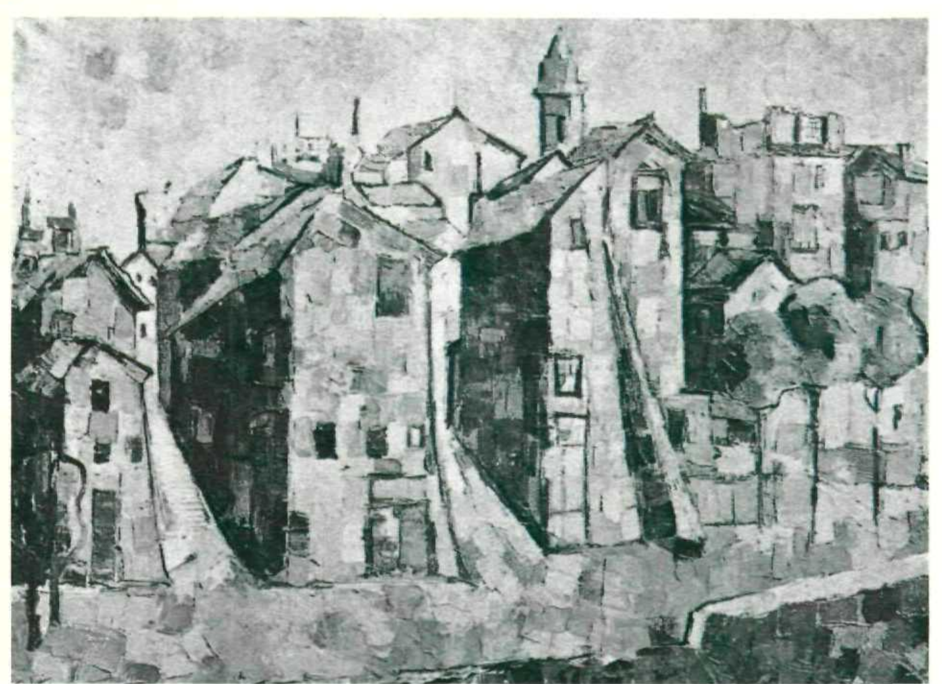
عرض لوحاته في المتحف الفني التابع للمجلس البلدي لمدينة روما ، وحصل على كأس فضيّة قدمها معالي السفير السعودي في روما .

وقوبل معرضه الذي اقامه في مدينة ميلانو ، عاصمة ايطاليا الصناعية ، بالاعجاب وكان مفاجأة لفناني تلك المدينة ، واستمر المعرض خمسة عشر يوما .

ولقد كتبت بعض الصحف الفنية الايطالية عن هذا الفنان السعودي الناشىء فأثنت على لوحاته التي اشترك بها في المعارض المختلفة ، كما حثته على مواصلة جهوده في هذا الميدان الواسع الفسيح . اما عن المدرسة الفنية التي ينتمي اليها عبد الحليم رضوي في تصويره للوحاته فهي تشبه الى حد بعيد المدرسة التكعيبية .


٤


٥


٦

٤ – احدى اللوحات الرائعة التي ابدعتها ريشة الفنان السعودي عبد الحليم رضوي . وقد تجلى فيها اتجاه الفنان نحو الفن التكعيبي في تصميمه للوحاته .

٥ – تشبه هذه اللوحة الى حد كبير لوحة «الدورق والاواني» ، التي ظهر فيها تأثر «بيكاسو» بسيزان ، من حيث استخدام طريقة رسم الصور ذات مستويات النظر المختلفة ، والتي اعتبرت في ذلك الوقت خروجا على القواعد الاكاديمية الفنية . ولكن سيزان كان يرى ان بوسع تلك الطريقة ان تجعل اللوحة اكثر طرافة وتناسقا وحيوية .

٦ – اللمسات المستطيلة ، والزوايا والمستويات وضربات الفرشاة التي تظهر في هذه اللوحة ، تبين بوضوح تأثر الفنان «رضوي» بسيزان الذي كان للوحاته اثر كبير على التكعيبية .



للشاعر ضياء الدين رجب

ألقاكِ في الشط أم ألقاكِ في الماء
وأستحم مع الاضواء سابحة
واستريح كأني في جوانحها
فهل تعود حياتي بعدما اختلجت
واستضحك البحرُ في اعماقه عجباً
اذا تراقصت الامواجُ ظنّ بها
وخالها ثورةَ العذالِ مائجةً
وما درى انها الاشواق هائجةٌ
فضاحة لقلوبٍ طالما اعتصَرتْ
كأنما الاملُ النشوانُ في يدها
وأنت يا بحرُ : كم تغفو على سِنَةٍ
وما سئمتَ المدى المطويّ تلمَحُه
تَلمّسوكَ هوىً رَقّتْ مسَاحبُه
وأودعوك حَفِياً من سرائرهم
وللأحبة في شطيكَ زمزمةٌ
وللاغاريدِ في الاسحار هَيْنَمةٌ
وفي شعور الغواني للصبا عَبَثٌ
وَسعْت كلّ شجيٍ ما دريت به
وكلّ صدّاحةٍ في الأيكِ روّعها
وذات دلّ مَلولٍ حطّمتْ أملا
وغادة في ربيعِ العُمر باسمة
ألقتْ اليك ولمّا تجنِ غيرَ هوىً
ويائس عضّه بعد الثّراء أذىً
وافاك يجتَرّ من انفاسه رَمقاً

على جناحَيْ خيالٍ مائلٍ نائي
في العطرِ تمزج اشذاء بأنداء
أعانق البدرَ بين العشبِ والماء
ترفّ كالطير في صبحٍ وامساء ؟
من شاعر ظامىء في اليمِ مشّاء
سوءاً وما رقصت فيه لإغراء
ترنو اليه فترمي الداء بالداء
ـراكضت عاصفاتٍ بالسّوَيْداء
آلامَها فاطمأنت بعدَ أعياء
يصيح : كأسي ، وألحاني ، وصَهْبائي
مكارة تقذف المرئيّ بالرائي
لمحَ الطيوفِ على وهْنٍ وإبْطاء
فوق الرمال على صحوٍ وإغفاء
فخادعوا عين نمّامٍ وشّاء
تناوحتْ عبرَ إدناء وإقصاء
على ثغور الندامى والأحباء
مُرقرَقٌ من شعورِ الحاء والباء
وكلّ ذي عَبثٍ عادٍ وهزاء
غدرُ اللدات وتنكيلُ الألدّاء
في مُدْنَفٍ دونَه أغلى الاشقاء
فرّت اليك بآثام وأقذاء
بنفسها في لظىً كالحُسنِ دَعّاء
من شامت وعُقوقٌ من أخِلاء
يصافح الموت في ذل الاعزاء

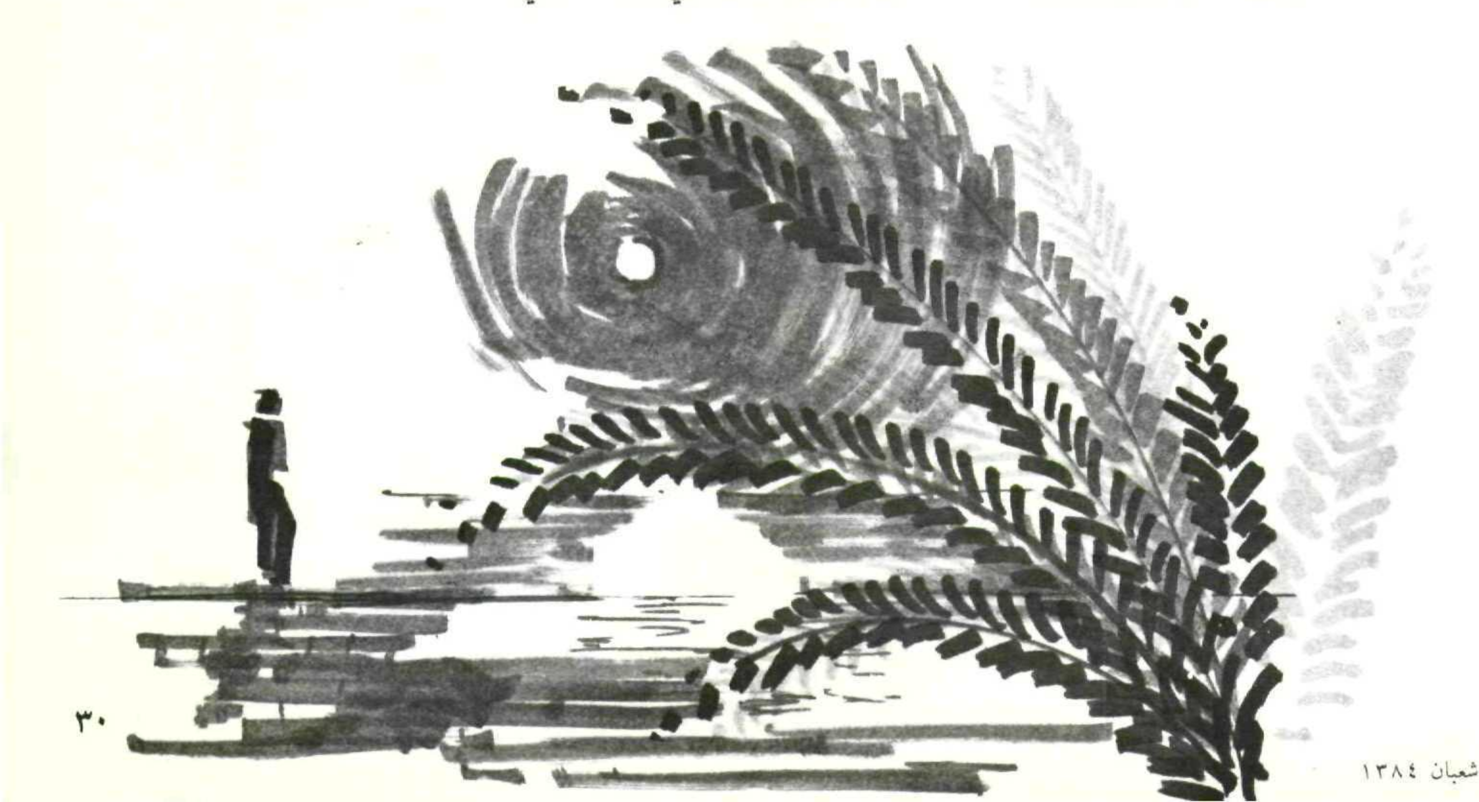
وسائرين على الاثباج ماخرة ... فيك العباب بأموات وأحياء
قد خضّبوا بالدم القاني ورجفته ... صفاءك الحلوَ في هوْلٍ وأصْماء
وخضخضوا في مجال الرُعب ما صنعتْ ... قساوةُ العلمِ في عُنفِ الالبّاء
وروعوا في طباق البحر آمنة ... من العوالم ، اثغت ثغوة الشاء
وانت أنت لَعمري كيف ما اختلفت ... عليك يا بحر اشياء بأشياء
تفلسفُ الرجفةَ الكبرى بقهقهةٍ ... تبعثرتْ بين إزبادٍ وإرغاء
وتعبرُ الزمنَ الغافي الى زمنٍ ... صاحٍ بسُبحةِ معراجٍ وإسراء
ومن يَنُر للمعاني دون هيكلها ... يا بحرُ يَشْقَ بِضلالٍ وهَدّاء

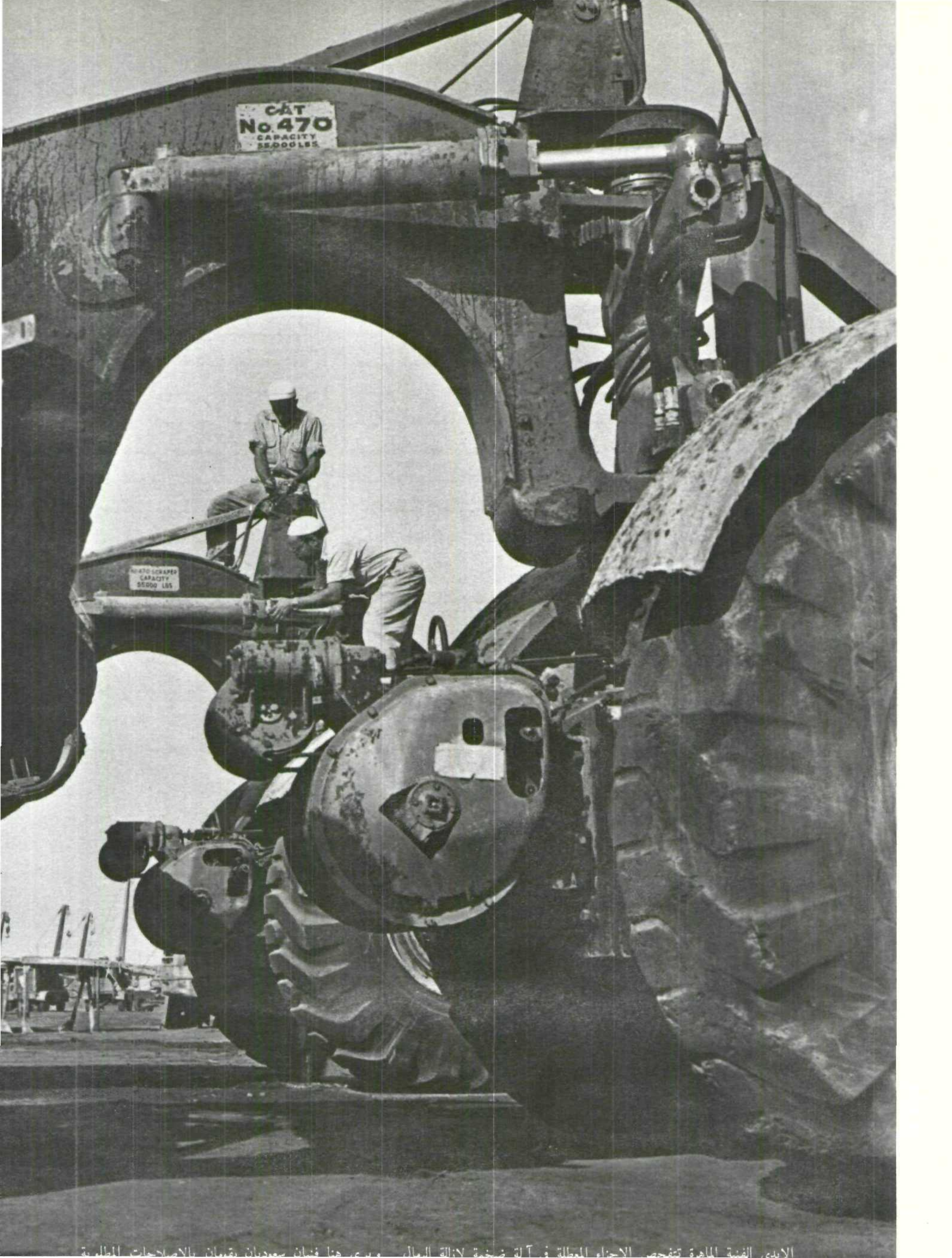
* * *

وضاق آذيّك العاتيُ فأرسلها ... ملمومةً بين إخفاء وإبداء
تقول قولَتكَ الشعواء باسمةً ... أنّى تضيق الدنا في عمق احشائي
العائشون على فيضي ومُنتجَعي ... والهالكون طعام للأجناء
فما أسِفتُ لِروّاحٍ على ثقةٍ ... ولا فرحتُ من الدنيا بغدّاء
الهابطون على مائي وأجنحتي ... والصاعدون على أُفُقي وأمْدائي
ان يصخبوا بين آفاق السماء ضُحىً ... قلتُ السماء عليها دفقُ أنوائي
ولست احمل عنهم عبئهم ابدا ... وان هُموا حمّلوا بالرعبِ أعبائي
تذوب في اللج أطواد وألويةٌ ... على الحروبِ وفوقَ الدهرِ أفنائي

* * *

غالطتَ يا بحرُ هذا الكونَ فاستبقوا ... الى صفاتك من دانٍ ومن نائي
قالوا عظيم كعُمقِ البحر منبسِطٌ ... كوجهه بين إشعاع ولألاء
فتاهَ كلُ عظيم في مطارفه ... والتفّ في ثوبِ ذكّارٍ ونَسّاء
وكلّ ما انفرجتْ دنياهُ واتّسعت ... قال الدُنا طوعُ آرابي وأهوائي
وان تشاجَرت الآراء وارتطمتْ ... لديهِ حطّمَ آراء بآراء
ما دمتُ قد جزت آفاق المدى قدما ... لا فرق بين أحبّائي وأعدائي





الايدي الفنية الماهرة تتفحص الاجزاء المعطلة في آلة ضخمة لازالة الرمال . ويرى هنا فنيان سعوديان يقومان بالاصلاحات المطلوبة



صيانة المعدّات في ارامكو

الصيانة ولا شك ، عامل مهم وضرورة حيوية لا غنى للشركات الصناعية عنها في الحفاظ على معداتها وآلاتها الضخمة التي تكفل سير دولاب العمل في مختلف اجزائها .

وشركة الزيت العربية الامريكية (ارامكو) تستخدم انواعا عديدة من الآلات والمعدات والمحركات الضخمة في انجاز مختلف اعمالها الانشائية . فمن هذه المعدات ما يستخدم في حفر القنوات ومد الانابيب ولحمها ومنها ما يستخدم في تعبيد الطرق وتمهيدها وغير ذلك من المعدات الثقيلة .

وبطبيعة الحال ، فان هذه المعدات تغدو ، مع الاستعمال الدائب ، عرضة للخلل او العجز . وحتى يظل دولاب العمل مستمرا في دورانه فان مثل هذه المعدات تستدعي اصلاح كل خلل قد يلحق بها لتكون دائما صالحة للاستعمال .

ولتفادي مثل هذه الاضرار التي قد تؤثر على انتظام سير مراحل العمل في مختلف مرافقها ، اقامت ارامكو

١



٢





٣



٤

ورشة خاصة مهمتها اصلاح المعـدات والآلات والمحركات المستعملة في الاعمال الثقيلة ، وابقائها في حالة جيدة . وتقع هذه الورشة على مقربة من البوابة الرئيسية في الظهران تتقدمها باحة فسيحة مكتظة بمختلف المعدات الثقيلة كالجرافات ، والجرارات ، والآلات الرافعة ، ومضخات الماء ، وضاغطات الهـواء ، وخالطات الاسمنت وآلات اللحام ، وغيرها من المعدات الكثيرة المتنوعة ، تنتظر الايدي الفنية الماهرة لتكشف النقاب عن مواطن الخلل والعطب فيها .

وتتبع ورشة صيانة المعدات الثقيلة في الظهران ، اداريا ، قسم خدمات المعدات في منطقة بقيق . وهي ، فضلا عن تعهدها القيام باصلاح كافة المعدات الثقيلة في الظهران ، تضطلع ايضا باصلاح المعدات الثقيلة التي تستخدمها الشركة في منطقتي رأس تنورة وبقيق وغيرهما من المناطق القاصية .

وقبل المبادرة الى اصلاح اي عطب في اي من المعدات ، يفحص الميكانيكيون الفنيون القطعة المراد اصلاحها فحصا دقيقا حتى يتسنى لهم تحديد مواقـع الاجزاء المعتلة في القطعة ومعرفة طبيعة الخلل اللاحق بهـا .

اما بالنسبة الى الوقت اللازم لانجاز مراحـل الاصلاح في اي مـن المعدات ، فيتوقف ذلك على نوع المعدات وحجمها ومبـلغ الخلل الكامن فيها . فهنالك معدات ثقيلة معقـدة التركيب كالآلات الرافعة مثلا ، يتطلب اصلاحها وقتا يزيد احيانا على الشهر . وهذا بالطبع يتوقف على توفر قطع الغيار في مستودعات الشركة . ففي بعض الاحيـان يضطر المسؤولون الى طلب قطع الغيار الضرورية من الخارج وهنا يتخلى الميكانيكيون عن اصلاح هذه الآلة ريثما تصل القطـع الضرورية ليضعوا ايديهم على آلة اخرى ، وهكذا ...

هذا عن عمليات الاصلاح المعقدة ، اما عن عمليات الاصلاح البسيطة فيمكن انجازها دون الحاجة الى احضار الآلة او القطعة الى ساحة الورشة . وفي هذه الحالة يكتفي المسؤولون بارسال احد الميكانيكيين

تصوير : عبد اللطيف يوسف



١ – منظر عام لورشة صيانة المعدات الثقيلة في الظهران وقد اكتظت باحتها الفسيحة بمختلف المعدات الثقيلة التي تنتظر الايدي الفنية لاصلاحها .

٢ – المشرف عبدالله بن ناصر يراقب عملية انزال احدى المعدات في المكان الخاص بها للكشف عليها واصلاح الخلل اللاحق بها .

٣ – اثنان من الفنيين العرب السعوديين يجريان جانبا من الاصلاحات الضرورية على احد الجرارات الضخمة باشراف احد المسؤولين الامريكيين في ورشة صيانة المعدات .

٤ – قبل اعادة المعدات الى عملها العادي يقوم بعض المسؤولين لدى وحدة معاينة المعدات بفحصها فحصاً كاملا للتأكد من صلاحيتها . ويظهر هنا موظفان من الوحدة المذكورة يختبران آلة رافعة ضخمة عقب اصلاحها .

٥ – السيد عبد الله ابراهيم الهندي ، من وحدة معاينة المعدات ، يفحص ضاغطة هواء بعد ان اجريت عمليات الاصلاح عليها .

٦ – المشرف علي خميس (الى اليمين) يعطي تعليماته لأحد الميكانيكيين السعوديين بشأن اجراء الاصلاحات اللازمة على احدى الآلات الرافعة ذات الشوكتين .

الفنيين الى المكان المعين لاجراء الاصلاحات المطلوبة .

وحينما يفرغ الميكانيكيون من اصلاح اي من المعدات في الورشة يقوم احد الفنيين لدى وحدة معاينة المعدات الثقيلة الواقعة جنوبي الورشة نفسها ، بتفقدها للتأكد من صلاحيتها . واذا ما تبين ان هناك مزيدا من الاصلاحات ، ينبغي اجراؤها ، اعيدت القطعة الى ورشة الصيانة للنظر فيها من جديد . وبعد اصلاح المعدات اصلاحا كليا ، ترسل المعدات الى الادارات او الاقسام الخاصة بها جيدة الحال صالحة للاستعمال .

وتقوم ورشة صيانة المعدات في الظهران ، الى جانب خدماتها في مناطق ارامكو ، باسداء المساعدات الفنية احيانا الى شركة الانابيب عبر البلاد العربية (التابلاين) اذا دعت الحاجة الى ذلك .

اما عدد الموظفين العرب السعوديين الذين يعملون لدى قسم صيانة المعدات فيبلغ ١٢٦ موظفا ، من بينهم ثلاثة مشرفين . وهم موزعون بين منطقتي الظهران وبقيق حسب برنامج العمل المتبع لدى قسم خدمات المعدات الثقيلة ، وهؤلاء الموظفون مدربون تدريبا فنيا على اصلاح مختلف المعدات الثقيلة والخفيفة وفق اصول السلامة وقواعدها .

وهكذا فان ورشة صيانة المعدات الثقيلة في الظهران تعتبر ضمن المرافق الفنية المهمة التي تعتمد عليها الشركة في حفظ معداتها وصيانتها وابقائها دائما في حالة جيدة .



٦

يسألونك عن..



بقلم الاستاذ مبارك ابراهيم

إن الزروع والاشجار التي تنبت التوابل ، وهي تلك المواد الحريفة ذات الرائحة العطرة والتي يتخذها الناس في انحاء الدنيا جميعا لتوبلة اطعمتهم وتطييبها لتصبح سائغة مستحبة ، ان تلك الزروع والاشجار تكاد لا تعرف لها موطنا غير بلاد المناطق الاستوائية .. ولئن كانت تلك النباتات قد تصح زراعتها في بلاد الشرق والغرب فان الناس – حتى هذه الساعة – ليحسبون ان التوابل تجيئهم من بلاد الشرق محملة فوق ظهور الابل ..

والسر فيما تميزت به التوابل من طعم ومذاق يرجع الى ما تحتويه من زيوت طيارة .. ومن صنوف التوابل ما يستفاد من ثمره كالفلفل بأنواعه : الأسود ، والاحمر (الشديد الحرافة) وفلفل «جاوة» (القليل الحرافة) ، وكجوز الطيب ، وكالخروب العطري ..

ومنها ما يستفاد من قشوره كالقرفة ، والقاسيا (خيار شنبر) .. اما الزنجبيل فيستفاد من سوقه وجذوره ..

وأكثر التوابـل شيوعا في الاستعمال هو الفلفل ، وهو متعدد الانواع . وأعمها هو المعروف عند التجار بالفلفل الاسود . وهو نبات بري ينمو في جزر الهند الشرقية . وهو يزرع ليس في الهند فقط ولكن في بلاد اخرى من بلاد الشرق ومنها سومطرة وجاوه ..

والفلفل نبات متسلق ، وجذوره قاتمة اللون ، وأغصانه المتهدلة تحمل ثمارا خضراء ثم تتبدل تلك الثمار فتصبح حبات ذات لون احمر متألق ، الواحدة منها في حجم الحمصة .. وهذه الحبات – بعد تجفيفها – هي قرون الفلفل التي تتخذ للتجارة .. وكل نبتة قوية من نبات الفلفل تغل ستة او سبعة ارطال من الثمار ..

وعند زراعة الفلفل تدعم كل نبتة بقائمة من الخشب او تسند الى جذع شجرة من الاشجار ، وعندئذ تأخذ سيقان ذلك النبات في الالتفاف حول تلك الدعامة ويطول ارتفاعها ويمتد ..

ونبات الفلفل المستند الى جذوع الشجر هو اكثر ثمارا وأجود صنفا . ذلك لانه يستمتع في حمى تلك الاشجار بمقدار اكبر من الظل ..

وتجمع ثمار الفلفل عندما يبدأ تحولها من اللون الاخضر الى اللون الاحمر . وهي الفترة التي تكون فيها قد بلغت غاية حرافتها . ثم تؤخذ فتبسط فوق حصر تحت وهج الشمس لكي تجف . وهي عند جفافها تتغضن وتتجمد ويسود لونها فتصبح ذلك الصنف من التوابل المسمى بالفلفل الأسود .. والفلفـل الأبيض يستخرج من تلك الثمار ذاتها . وهو لباب تلك الثمار بعد نزع القشور .. وهو في هذه الحالة يكون لونه رماديا . فاذا اريد اكسابه لونا زاهيا استعين على تبييضه بغاز الكلور .. والفلفل الأبيض اقل حرافة من شقيقه الأسود ذلك لان الزيت الطيار الذي يبعث الرائحة الزكية يكمن بمقدار اكثر في القشرة الخارجية لحبات الفلفل ..

وينصح الناصحون انه اذا اريد الحصول على اكبر قدر من رائحة الفلفل العطرة فمن الواجب ان تسحق الحبات بالمقدار اللازم للاستعمال فور الحاجة اليها . وذلك في مطحنة خاصة ساعة اعداد الطعام ..

ويتكاثر نبات الفلفل بطريقة التوليد . وذلك بواسطة نقل القضابات (العقل) .. وهذه القضابات لا تؤتي ثمارها الا في السنة الرابعة بعد غرسها .. وثمار الفلفل تتكاثر سنة بعد سنة حتى تبلغ اشدها في السنة الثامنة . وعندئذ تذوي وتضمحل تدريجيا .. ونبات الفلفل يؤتي ثماره مرتين في كل عام ..

وهذا البحث الذي نستعين في كتابته بالمصادر الغربية يذكرنا – فيما يتعلق بالفلفل الاسود – بما جاء في كتاب «تحفة النظار في عجائب الاسفار وغرائب الامصار» للرحالة العربي القديم (ابن بطوطة) ١٣٠٤–١٣٧٧ حيث يقول : «شجرة الفلفل شبيهة بدوالي العنب . وأهل الهند يغرسونها ازاء النارجيل (جوز الهند) فتصعد فيها كصعود الدوالي الا انهـا ليس لها عسلوج كالدوالي .. وبعض اوراق شجره يشبه اوراق العليق . ويثمر عناقيد صغارا حبها . واذا كان اوان الخريف قطفوه وفرشوه على الحصير في الشمس كما يصنع بالعنب عند تزبيبه .. ولا يزالون يقلبونه حتى يستحكم يبسه ويسود . ثم يبيعونه من التجار .. ولقد رأيته بمدينة (قالقوط) يصب للكيل كالذرة ببلادنا .»

والآن نعود الى ما كنا بصدده فنقول وهناك نباتات اخرى عديدة تجمع بينها وبين الفلفل صلات القربى ، وهي تزرع في جزر الهند الشرقية . وثمارها تستعمل غالبا في البلاد التي تنتجها . فهناك صنف يعرف بالفلفل الطويل . وهو يجيء بثمار اشد حرافة من الفلفل المعروف . وتستعمل ثماره بعد تجفيفها في صناعة المخللات . وكذلك تستعمل في التداوي .. وهي تجمع قبل ان يكتمل نضجها ذلك لانها في تلك الحالة تكون اشد حرافة ..

وهناك صنف آخر يختلف عن الصنف السابق ذكره وهو من فصيلة نبات «ست الحسن» (البلادونا) .. وهذا الصنف يجيء بثمار تعرف بشطة (شيلي) . وهـو صنف يعرفـه صناع



المخللات .. والفلفل المعروف بالفلفل الاحمر انما هو هذه الثمار بعد تجفيفها ودقها وسحقها ..

وهناك صنف من الفلفل الاحمر الشديد الحرافة يعرف في بلاد المكسيك باسم «الفلفل الشيلي» . والمقادير التي يستعملها اقوام المكسيك من هذا الصنف في طعامهم تساوي مقادير الملح .. والفلفل المتخذ من هذا النبات بعد تجفيفه ذو قيمة كبيرة جدا . وهو يفيد في شحذ الشهوة الى الطعام . وهو كذلك نافع للهضم ، وله قيمة لا يستهان بها في البلاد الحارة ..

ويكثر في جزائر الهند الغربية صنف آخر من التوابل يعرف غالبا باسم «فلفل جامايكا» .. وهو يؤخذ من اشجار صغيرة تنمو في تلك الجزائر . ويجود محصوله بصفة خاصة في القسم الشمالي من (جامايكا) .. وهو نبات دائم الخضرة ، طيب الرائحة ، حتى ليستطيع الناس ان يشموا عبير ازهاره من مسافات بعيدة ، بل حتى ان اوراقه اذا جفت وسحقت امدت ناشقيها برائحة عطرية فواحة ..

وهناك صنفان آخران من التوابل : صنف يتخذ من جوزة الطيب وهي مكتملة . وصنف يتخذ من لبابها وحده .. وشجر جوزة الطيب ينمو في آسيا وأمريكا . وفي جزيرة مدغشقر .. وصنف جوزة الطيب الذي يتخذ للتجارة يجيء اكثره من جزر الهند الشرقية والغربية ..

وهي عند اكتمال نضجها تبدو ثمارها ذهبية اللون متألقة .. وغلاف الثمرة الخارجي غليظ القوام كثير اللحم ، حلو المذاق ، وهو يشبه في قوامه الحلوى المتخذة من عسل قصب السكر اذا غلظ قوامه .. وهي تتخذ في البلاد التي تنتجها كنوع من انواع الحلوى ..

وآية جودة ثمار جوزة الطيب ان يكون لونها متألقا .. وهي تجفف لفترة وجيزة . ولكنها اذا زيد في تجفيفها فقدت كثيرا من عطرها عن طريق التبخر . وأصبحت هيشة المكسر فيكسد سوقها ، وتفقد قيمتها التجارية .. وهي من ناحية اخرى يجب ان تجفف الى درجة كافية ، والا فانها تفقد خصائصها عن طريق التخمر ..

وأشجار جوزة الطيب تبدأ في الازهار وهي تدنو من سنتها السابعة . ولكن اذا استطاع القائمون على زراعتها ان يرجئوا ازهارها حتى السنة التاسعة فان ذلك يزيد في قيمتها ويكثر في حملها ..

ومن اشجار جوزة الطيب ما يحمل عشرة آلاف ثمرة في كل عام . ولكن الكثرة الكاثرة منها تحمل ما بين ثلاثة وأربعة آلاف ثمرة ..

وهناك صنف من التوابل هو القرنفل . وهو ينمو في عناقيد تتدلى من اطراف غصون اشجاره . ولونه مثل لون زهر الخوخ حتى اذا ذبل نواره استحال لونه الى اللون الاصفر ثم الى اللون الاحمر .. وفي المرحلة التي تكون فيها الحبة جنينا مستكنا تنزع الثمار من اشجارها ثم تجفف وذلك بأن يحمى عليها في النار اولا ثم بتعريضها للشمس بعد ذلك ، وعندئذ تصبح قرون القرنفل ذات لون اسمر داكن .. وتصبح سلعة تباع وتشترى ..

وفي بعض الحالات تتم عملية التجفيف في الشمس فقط .. واذا اتيح للثمار ان تبقى على الشجر كبر حجم الثمار حتى لقد تبلغ الواحدة منها حجم الزيتونة . واكتسبت لون الحمرة الداكنة . فاذا جمعت تلك الثمار وجففت جاءت بصنف من القرنفل قد فقد خصائصه العطرية الى حد كبير .. والمعروف ان زيت القرنفل الذي هو مصدر النكهة الطيبة والرائحة العطرة يمثل سدس الوزن الكلي لكل قرن من قرون القرنفل .. وهو يستخرج بواسطة التقطير بالماء ..

وهناك نبات الخروب العطري ، وهو الذي كثيرا ما يستعمل في تطييب الشوكولاته والانواع الاخرى من الحلوى ، وهو الصنف الوحيد من بين اصناف الفصيلة (الأركسيدية) التي تنمو وتزدهر في المناطق الاستوائية .

وقد عرفه الاسبان ايام فتحهم لبلاد المكسيك يوم شاهدوا سكان تلك البلاد يتخذونه طعاما لهم .. وهو نبات متسلق ، اوراقه تشبه الرماح المضلعة ، يبلغ طول الورقة منها ثماني عشرة بوصة ويبلغ عرضها ثلاث بوصات .. وهي بيضاء تتخللها اشرطة حمراء وصفراء ..

وثمار الخروب تجمع قبل ان يتم نضجها ثم تجفف في الظل . ثم تنقع في الزيت او تدهن به ثم تلف في قطن مبلل بالزيت لمنع تفتيحها وتشققها .. والمعروف ان داخل القشرة الخارجية

الصلبة للخروب لبابا اسود اللون تتخلله بذور كثيرة ..

وهناك من التوابل صنف آخر هو القرفة ، وهو لحاء شجرة من الاشجار التي تنتمي الى فصيلة شجر الغار . وهو معروف كصنف من صنوف التوابل منذ آلاف السنين ..

وقد يكون نباته هو ذلك النبات الذي اشير اليه في «سفر الخروج» باسم «القنة العطرة» : «وقال الرب لموسى : خذ لك اعطارا ميعة وأظفارا ، وقنة عطرة ولبانا نقيا .»

وهناك عدة اصناف من اشجار القرفة . ولكن اشهر انواع القرفة ما يجيء من جزيرة (سيلان) حيث تكثر زراعتها .. على ان تلك الاشجار قد استوطنت وتأقلمت في جزائر الهند الغربية ، وفي جاوة ، وسومطرة ، وبورنيو ، ومالابار ، وكذلك في البرازيل وفي بلاد اخرى ..

وشجرة القرفة في حالتها الآبدة تبلغ في ارتفاعها ثلاثين قدما . ويبلغ سمك جذعها من اربعة الى خمسة اقدام .. ولكن الشجرة البستانية لا يتعدى ارتفاعها عشرة الاقدام .. وأوراقها البيضاوية الشكل يبلغ طولها ست بوصات . اما مذاقها فيشبه كثيرا مذاق القرنفل .. وأزهارها رمادية الشكل في الخارج وصفراء باهتة في الداخل .. وهي في قوام نسيج الحرير ..

وتجتني ثمار القرفة مرتين في كل عام . وذلك بأن تقطع الغصون ويكشط اللحاء الخارجي ثم يقطع طوليا بمدية قاطعة . ثم ينتزع في هوادة حتى يزاح عن اصله . ثم تجفف الشرائح في الشمس حتى تتجمد وتتقبض فتبدو وكأنها انابيب مستطيلة تتداخل في بعضها كتداخل اجزاء (التلسكوب) ثم تحزم وتشد الى بعضها ويبعث بها الى الاسواق ... وزراعة اشجار القرفة يمكن ان تتم عن البذور او القضابات (العقل) او الترقيد . وان كانت طريقة القضابات هي الطريقة السائدة .. وشجرة القرفة لا تؤتي ثمارها قبل انقضاء ثماني سنوات ..

وهناك من صنوف التوابل : «الزنجبيل» ، وهو الجذور المجففة من نبات الزنجبيل ، وقد كان موطنه الاوحد في جنوبي شرق آسيا ، اما اليوم فيزرع في البلاد الاستوائية الاخرى ومنها جزر الهند الغربية ومنها كذلك (سيراليون) ..

وطريقة الحصول عليه هي ان يؤتى بالجذور التي ذبلت ثم تسلق في ماء مغلي او تجفف في الشمس او تكشط ، ثم تغسل ، وتجفف ..

والطريق الاولى تنتج ذلك الصنف المسمى بالزنجبيل الاسود . وهو الصنف الشائع في الاسواق . وهو — على التحقيق — ليس اسودا .

والطريقة الثانية تنتج الزنجبيل الابيض ، وهو ليس بالابيض ، ولكنه رمادي اللون .. والزنجبيل المعلب يستحضر من الجذور الصغيرة ..

وهناك من صنوف التوابل نبات هندي يمدنا بنوع من انواع الصبغة ، وبصنف من صنوف الدواء وبمادة يطيب بها الطعام ، ذلك هو (الكركم) او الزعفران الهندي .. وهو فوق انه نافع في الصناعة ، ومفيد في التداوي ، فانه عنصر مهم من العناصر الكثيرة اللازمة في صناعة الطهو .. من هذا التابل يؤخذ مسحوق (الكرى) ، وهو مسحوق اصفر قاتم قريب الصلة بالزنجبيل .. والكركم نبات عشبي جميل يزرع في جميع انحاء الهند والصين وجزائر الهند الشرقية . ويستخرج منه زيت طيار له رائحة عطرية خاصة ..

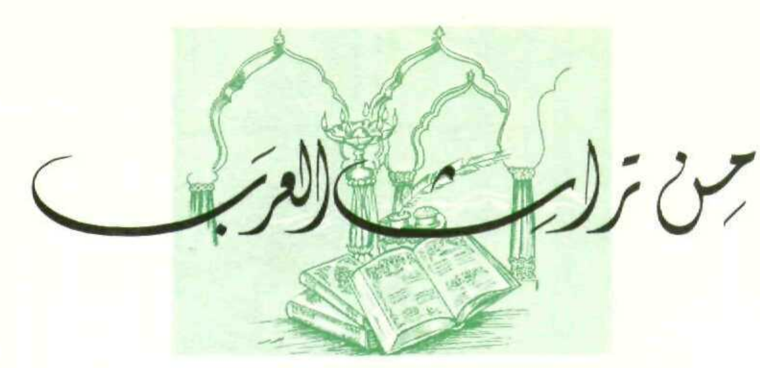


وهناك من صنوف التوابل : (الكمون) وهو نبات ذو ازهار خيمية ، وهو من نباتات منطقة البحر المتوسط . وهناك (الكراويا) ويقال لها (الكمون الارمني) وبذورها يجاء بها من الهند .. وقريب من هذين الصنفين : (الانيسون) ويقال له (الكمون الحلو) ومنه تؤخذ بزور الانيسون التي تستعمل كدواء كما تستعمل في تطييب الطعام وفي صناعة الحلوى . ومن اهم مواطن الأنيسون مصر ، وهو يزرع كذلك في اسبانيا وألمانيا كما يزرع في مالطة وسورية ..

وهناك ايضا الخردل وهو من التوابل المعروفة ، ومنه ما ينمو وحشيا ، ومنه ما يزرع بستانيا ، وهو انواع كثيرة ، وكلها من فصيلة (الكرنب)..

ويبلغ نبته الى ارتفاع قدمين او ثلاثة اقدام . وزهوره صفراء متألقة ، ويستخرج زيته بطريقة العصر ، وهو زيت جم الفائدة يستعمل كدهان ومروخ للتدليك ، ويستعمل كذلك في صنع الكمادات ..

وآخر ما نذكره من صنوف التوابل : النعنع او النعناع الفلفلي ، وهو نبات ينمو بكثرة في المناطق المعتدلة من العالم ، ويستخرج منه زيت طيار يستخدم في تطييب صنوف الحلوى ، وكذلك في اخفاء طعوم ومذاق بعض الادوية الكريهة الطعم والمذاق .. والرائحة الخاصة التي تميز بها ترجع الى وجود عنصر الكافور الفلفلي فيه .



* قال اكثم بن صيفي : الصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والشر لجاجة ، والحزم مركب صعب ، والعجز مركب وطيء .

* وقال ايضا : آفة الرأي الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الامور الصبر .

* قال الحارث بن ظالم المري : ان من آفة المنطق الكذب ، ومن لؤم الاخلاق الملق .

* قال الجاحظ : رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وجناحاها رواية الكلام ، وحليها الاعراب ، وبهاؤها تخير اللفظ ، والمحبة مقرونة بالايجاز .

* قال ابو اسحاق الصابي : حظ الطالبين من الدرك ، بحسب ما استصحبوه من الصبر .

* وقال الشاعر :

ما احسن الصبر في مواطنه
والصبر في كل موطن حسن
حسبك من حسنه عواقبه
عواقب الصبر ما لها ثمن

* قال حكيم : اعقل الناس من لا يتجاوز الصمت في عقوبة السفيه .

* وقال غيره : السكوت عن السفيه جواب ، والاعراض عنه عقاب .

* قيل : ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة : حليم من احمق ، وبر من فاجر ، وشريف من دنيء .

* وقال احد الشعراء :

اذا نطق السفيه فلا تجبه
فخير من اجابته السكوت
فان جاوبته فرّجت عنه
وان خليته كمدا يموت

* قال اكثم بن صيفي : الرجل بلا ادب شخص بغير آلة ، وجسد بلا روح .

* قال الاحنف بن قيس : لكل شيء ذؤابة وذؤابة الشرف الادب .

* قال اعرابي : عود لسانك الخير تسلم من اهل الشر .

* قال عمر بن الخطاب : الكرم التقوى ، والحسب المال .

* قال الاحنف بن قيس : الملول ليس له وفاء ، والكذاب ليست له حيلة ، والحسود ليست له راحة ، والبخيل ليست له مروءة ، ولا يسود سيء الخلق .

حاول ان تجيب

— ١ —

أ — ما عدد الآبار المنتجة للزيت حاليا في المملكة العربية السعودية ؟

ب — ما عدد الآبار الخاصة بحقن الماء حاليا في المملكة العربية السعودية ؟

ج — ما عدد الآبار الخاصة بحقن الغاز حاليا في المملكة العربية السعودية ؟

— ٢ —

أ — كم قدما يبلغ عمق قناة السويس ؟

ب — كم قدما يبلغ عمق قناة بنما ؟

ج — كم قدما يبلغ عمق قناة هيوستون في الولايات المتحدة الامريكية ؟

— ٣ —

أ — ما هي اكبر ثلاث بحيرات في العالم من حيث المساحة ؟

ب — ما هي اطول ثلاثة انهار في العالم ؟

ج — ما هي اعلى ثلاثة شلالات في العالم ؟

— ٤ —

من هو قائل كل من الابيات التالية ؟

أ — بالبر صمت وانت افضل صائم
وبسنة الله الرضية تفطر

ب — المجد والشرف الرفيع صحيفة
جعلت لها الاخلاق كالعنوان

ج — عش عزيزا او مت وانت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود

(الاجوبة على الصفحة ٤٩)



ابو العلاء ناقد المجتمع

سنتجاوز قليلا عن التعريف بهذا الكتاب الى التعرف على صاحبه – ولا نقول التعريف به – فان الدكتور زكي المحاسني غني عن التعريف ، بما اثرى به الفكر العربي الحديث من نغمات في الأدب والشعر والتحقيق والتأريخ للأدب العربي .

وللدكتور المحاسني جلد على البحث الممض المجهد ، وقد استبان ذلك منه في رسالته عن «شعر الحرب في أدب العرب» التي طبعت طبعتين ، والتي (عكف فيها – كما قال المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام في تقديمه لها – عكوف الباحث المخلص المتثبت ، الذي لا يقنع بما دون الغاية ، ولا يسكن الى الدعة ، ولا ينوء به النصب والدأب ..) .

وليس كتاب «شعر الحرب في أدب العرب» هو وحده ما أعيد طبعه من كتب الدكتور زكي المحاسني، فان كتابه «ابو العلاء ناقد المجتمع» الذي نعرضه هنا ، يجد طريقه الى جيل جديد من القراء والباحثين ، بعد ان تلقى القارئون طبعته الاولى وتقبلوها بقبول حسن ..

والدكتور زكي المحاسني لا يختار في دراساته وتحقيقاته الدروب السهلة المعبدة ، ولا المسالك المطروقة .. لأنه مولع بالمشقة من ناحية ، ومحب لأولية ارتياد الطريق من ناحية ثانية ، وملتمس للانصاف والتحري من ناحية ثالثة . ولا شك أن كتابيه عن شعر الحرب ، ونقد أبي العلاء للمجتمع يعدان ريادة في طريق غير مسلوك ، فما كان أحوج الشعر الحماسي العربي الى دراسة تكشف عنه وتوضح ما أحاط به من أحداث ، حتى جاء الدكتور زكي المحاسني ، فافترع الطريق ومضى فيه الى غاية كتب لها الحمد .

على أن التماسه للانصاف يتجلى في اقدامه على تحقيق ديوان «الشريف العقيلي» وهو شاعر مصري من الاشراف ، عاش في القرن الرابع ، وأحب الطبيعة في مصر وهام بها هياما سجله في شعر مشرق بهيج . ولقد كان هذا الشاعر منسيا مغمورا مضنونا عليه حتى ببضعة أسطر ، فجاء المحاسني وانصفه من زمانه بنشر ديوانه ، والتعليق عليه ، مع انتزاع ترجمة لصاحبه من خلال نتف نشرت عنه في اشتات متفرقات من كتب التراجم والأدب .

وحين يسلك الدكتور زكي المحاسني المسالك الوعرة في التأليف ، يذهب مذهب الاعتدال والنزاهة في الأحكام ، فلا يجور أو يبتسر الأحكام ، أو يتابع في الآراء على غير تحقيق ، ولكنه يقرأ ، ويحقق ، ويوازن ويزن ، ويحكم بعد اقتناع واعتقاد . فلم يذهب مع القائلين من القدامى بأن أبا العلاء المعري «زنديق» ، أو أنه «قد هذى بشعره» ، أو أنه – كما قال عنه ياقوت الرومي صاحب معجم الأدباء – كان «حمارا لا يفقه شيئاً ، وأنه مجنون معتوه ...» ، بل وقف وقفة مستأنية يذكر فيها هجمات بعض القدماء على أبي العلاء ، ويؤكد أنهم طمسوا لنا معالم كثيرة من فضائل حكيم المعرة ، فلم تصل الينا لانهم لم يذكروها لنا ، وقد شغلتهم عنها شواغل ذمه وتأثر مزلاته ، ولو هم أرخوه لنا على نحو ما أرخ علماء الأدب الغربيون تاريخ أدبائهم لرأيناه على صورة صحيحة سالمة من التشويه .

على أن الدكتور المحاسني كان يحس – حتى وهو يتلمس الانصاف – أن هجوم المجتمع العربي على أبي العلاء واتهامه اياه بالعته والجنون «والحمارية» والزندقة ، لم يكن الا ردا من هذا المجتمع على هجمات أبي العلاء ونقداته العنيفة القاسية . فلم يكن من المعقول ان يسرف أبو العلاء في النقد والسخط ، ثم يتوقع بعد ذلك أن يعود من المعركة بالحمد والشكران ... وندرك هذا من الفصل الذي عقده المؤلف عن نقاد المعري ، فان الرجل الذي أوقد حوله – وهو حي – نار العداوة ، والذي أثار حول عقيدته شكوكا ما كان أغناه عنها ، لحري أن تلاحقه الهجمات ، بعد مئات من السنوات ...

ويفسر لنا المؤلف البواعث البيئية التي أحاطت بالمعري ودفعته الى نقد المجتمع ، فبلدته «معرة النعمان» لم تكن مقام خير ولا دار نعمى ، ولقد وصف المعري أهلها في عصره من رسالة بعث بها الى أبي القاسم المغربي ، بأن المصائب جثمت عليهم ، وطغوا في الضلال ، حتى يئس مصلحهم ، واخفق ناصحهم ، وعي فصيحهم من هول ما يرى ... وكان يرغب أصحابه في الاقامة بأرض الحجاز ، لثبوت الامن فيها ، ولبعد القلاقل عنها ، ولانها لم يلحقها ما لحق بلده ... حتى باتت المعرة بالشام وهي غرض لسهام الروم ، وهدف لغاراتهم .

على أن نقد أبي العلاء المعري لمجتمعه لم يتسم بالطابع المحلي ، والا كان شيئا عارضا مؤقتا لا يصلح الا للتاريخ . وقد نفى المؤلف هذه المظنة عن نقد المعري ، لانه نقد للناس – من حيث هم ناس – في كل زمان ومكان (ومن هنا يخلد نقد المعري ، فتظل خطرات نقده لجماعة عصره صادقة على من جاء بعده من الجماعات) . ويفرق الدكتور زكي المحاسني بين نقد الرجل المخالط الملابس للناس في احوالهم وعلى علاتهم ، وبين الرجل الانعزالي ، الذي يتخذ له محبسا يرمي من وراء كواه الناس بنبال النقد ، ويقذفهم من خلف أسواره – التي انطوى وراءها – بالمساوىء والمثالب . والمعري – عند المؤلف – رجل اعتزل الناس فرارا من الواجب ، وما كان أجدره أن يعيش في مزدحم الحياة الاجتماعية ، وان يحيا في صخب الناس ...

ولكن في آراء أبي العلاء ونقداته الفلسفية الاجتماعية آثارا لا نستطيع أن نردها الى بيئته العربية وحدها ، على الرغم مما اصطلح عليها من عيوب وآفات ، ومن قلاقل واضطرابات ، قدر ما نردها الى منابع أجنبية . وهنا يؤكد المؤلف ان المعري لم يرتجل آراءه ارتجالا في الفلسفة والحياة والمرأة والزواج والنسل وتحريم أكل اللحم واطراح الشهوات والزهد ، ولكنه استقاها من مصادر يونانية وفارسية وهندية . ويرى مع الرائين ان المعري أخذ هذه الآراء حين نزل في أحد الأديرة بمدينة اللاذقية ، فتلقى عن أحد رهبانه تلك الاقوال والمذاهب ، وبثها بعد ذلك في شعره ورسائله ، بل اتخذ بعضها دستورا عمليا له في حياته .

ولقد كان المعري ساخطا على اثرياء عصره ، وكان عدوا للمرأة ، حتى كان نقده لها أبرز

موضوعات نقده ، فنسي – أو تناسى – رسالتها الجليلة أما ، وزوجا صالحة ، ومنجبة ، وشريكة حياة . ورآها من حيث تبدو لها مثالب ، فأمسك بهذه المثالب واحدة بعد واحدة ... رأى المرأة متظلمة شاكية – وهي شر ظالمة في نظره – فنهى عن التسليم عليها ، امعانا في ازدرائها واغفالها ، وقال في ذلك :

ولا ترجع بايماء سلاما
على غيد أشرن مسلمات
أولات الظلم ، جئن بشر ظلم
وقد واجهننا متظلمات ...

ويبحث الدكتور المحاسني عن هذا الظلم الذي جاءت به المرأة في نظر أبي العلاء ، فلا يعييه أن يجده في «ولادة الانسان» ... !

وقد يقال ان المرأة العقيم ، قد لا تستحق من المعري النقد والتلويم ، لانها لم تجن جناية الانسال ، ولكن شاعرنا يكره جنس المرأة على عمومه ، سواء أكانت عذراء أم متزوجة ، وسواء أكانت تعتنق الاسلام أم من أتراب اليهود والنصارى .. !

على أننا نخالف صديقنا الدكتور زكي المحاسني في أن مثل هذا الرأي في المرأة يعد نقداً للمجتمع ، فهو في الحقيقة رأي ومذهب ، لا نقد لسلوك اجتماعي ينكره أبو العلاء على القائمين به .. والاولى ان يدخل في النقد هنا ما عابه المعري على النساء من التبرج ، وتكلف الزينة ، واجتلاب الحسن بالتجميل والتطرية والصنعة ، كما يفعل الحضريات اللائي أشار اليهن قبل المعري شاعرنا المتنبي .

ولا شك ان رجلا صريحا جريئا مثل أبي العلاء كان يغيظه ان يرى في المجتمع صورا من النفاق والرياء والمتناقضات . وقد وقف المعري لهؤلاء المنافقين بالمرصاد في أشعاره ، يفضح سوءاتهم ، ويكشف عن خبث نياتهم ، فيقول مرة :

رويدك قد غررت وانت حر
بصاحب حيلة يعظ النساء
يحرم فيكم الصهباء صبحا
ويشر بها على عمد مساء

وينتقل المعري في أشعاره من نقد المنافقين وأهل الاذكار المتواكلين ، الى نقد المنجمين الذين يرجمون بالغيب ، والنساء السواحر الرواقي اللائي يزعمن أنهن قادرات على رد البعيد المسافر ، وعطف الحبيب الهاجر ، واسترضاء الغاضب ، واخراج الكنوز المدفونة تحت البيوت ...

لقد فصل الدكتور زكي المحاسني في كتابه هذا الحديث عن نواحي النقد عند أبي العلاء ، ولم يدع موطنا تظهر فيه نقدة للمعري الا أبانه ، حتى نقداته الاجتماعية للأدب العباسي والاندلسي ، ونقداته للنحاة واللغويين ، والأدباء والخطباء ، والفلاسفة والحكماء ، وأرباب النحل والأهواء . ولم يكتف بتتبعه في «لزومياته» و «سقط زنده» وحسب ، ولكنه تتبعه في رسائله ، وفي كتابه «الفصول والغايات» .

ولم يشأ المؤلف ان يطوي بحثه الممتع عن أبي العلاء ناقد المجتمع ، دون ان يختمه بفصلين : أولهما عن ملاذع رسالة الغفران ، وثانيهما عن التهكم عند ابي العلاء ، ولعله قصد بذلك أن يستكمل صورة النقد عند شيخ النقاد في الأدب العربي .

بقيت كلمة لا بد ان تقال في موقف الدكتور زكي المحاسني من الشريف المرتضى الشاعر ، فقد استظهر المؤلف ان الابيات العينية التي اولها :

ما لي رأيتك لا تلم بمسجد
حتى كأنك في البلاغ السابع

هي في نقد الشريف وثلبه ونعته بالاولية في الكفر والتستر بالامامية .. وان المرتضى مقصود بهذه الابيات. وهو استنتاج ما كان اغنى الدكتور زكي عن ارتجاله ، وما كان أجل الشريف المرتضى عن ان يلصق به ... فالمعري كان يجل بيت الشريفين : الرضي والمرتضى ، وقد رثى والدهما بمرثية جليلة ، واشار فيها الى ولديه قائلا :

ابقيت فينا كوكبين سناهما
في الصبح والظلماء ليس بخاف
متأنقين وفي المكارم ارتعا
متألقين بسؤدد وعفاف

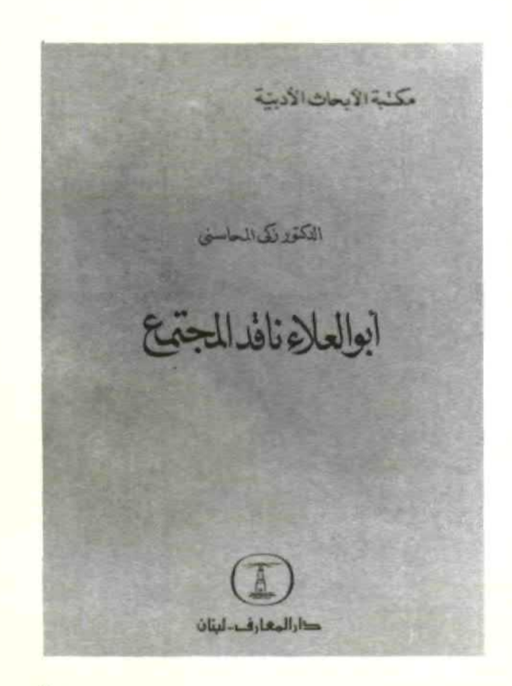
على ان قول المعري في القصيدة نفسها بأنهما (قدرين في الارداء) ليس ألغازا في الكلام ولا تعمية ولا غمزا ، بل هو المدح كله ، لوصفهما بالسطوة البالغة ، وقد وصف اباهما من قبل بالشجاعة في قوله :

هلا دفنتم سيفه في قبره
معه فذاك له خليل واف ؟

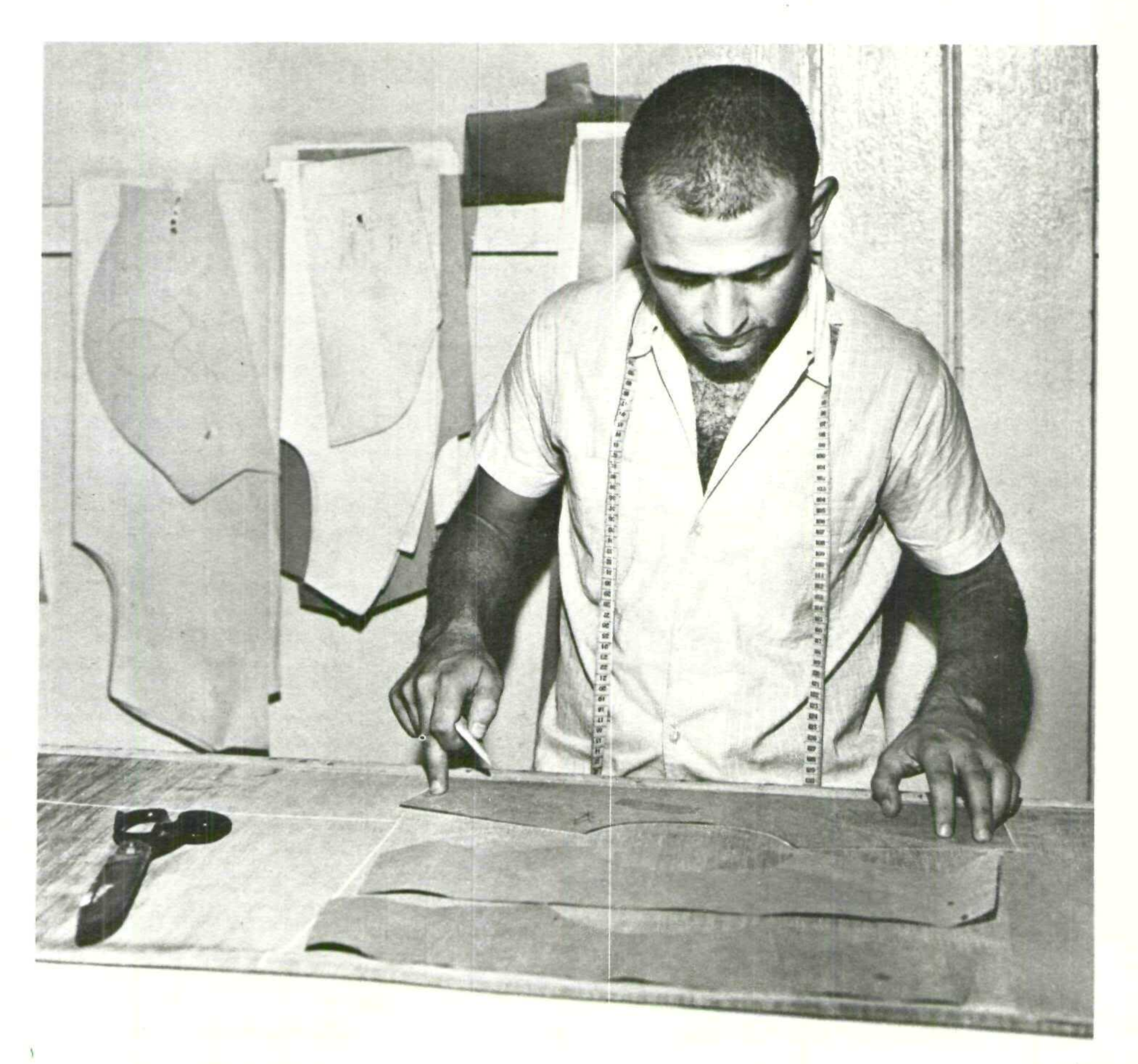
وابو العلاء الصريح الجريء ليس في حاجة الى التعمية والمداهنة ، لو اراد ان يذم فما حاجة الى المدح ؟ وكيف يذم المعري الشريف المرتضى وقد سئل عنه مرة بعد ان حضر مجلسه فقال :

يا سائلي عنه لما جئت اسأله
فانه الرجل العاري عن العار
لو جئته لرأيت الناس في رجل
والدهر في ساعة ، والارض في دار

على ان قصة ما حدث بين المعري والمرتضى بسبب تعصب ابي العلاء للمتنبي وبغض الشريف المرتضى له مما لم يثبت عند نفر من المحققين ...



صناعة جديدة للألبسة في المملكة



قامت مؤخرا في الدمام ، ثغر المنطقة الشرقية الجميل على الخليج العربي ، صناعة جديدة تسير متضافرة مع غيرها من الصناعات التي قامت حديثا في المملكة ، نحو تحقيق مستقبل صناعي سيعود بالخير ، كل الخير ، على هذا البلد الكريم .

وشأن كل المشاريع الصناعية الكبيرة ، كان مشروع انشاء مصنع للألبسة الجاهزة في الدمام ، مجرد فكرة اختمرت في اذهان السيدين عبدالله النعيمي وزكريا محمد صديق سالم وشركائهما ، الذين ما ان آمنوا بالفكرة ، حتى راحوا يدرسونها على ضوء ما تتطلبه الاسواق المحلية من انواع معينة من الالبسة ، ومدى منافسة ما تستورده هذه الاسواق من الألبسة الجاهزة للمنتجات التي يزمع المصنع انتاجها .

ولما وجدت الدراسات مشجعة الى حد ما – وهذا في حد ذاته كاف لتنفيذ اي مشروع تجاري يتسم بطابع المغامرة – قرر الشركاء تنفيذ الفكرة .

وما ان اوشك عام ١٣٨٣ هـ على الانتهاء ، حتى كانت باكورة انتاج المصنع تأخذ طريقها الى المستهلك معلنة قيام شركة جديدة باسم «شركة مصانع الدمام التعاونية للألبسة الجاهزة» .

اجـزاء المصنـع

يحتوي المصنع على عدة اجزاء يختص كل جزء منها بمرحلة معينة من المراحل التي تتم بواسطتها خياطة اللباس .

وأول تلك المراحل هي تفصيل قطع القماش حسب القياسات المطلوبة ، ثم قصها بواسطة مقص كهربائي حاد ، يمكنه ان يقوم بقص جميع الاجزاء المطلوبة لخياطة حوالي مائتي



٢



٣



٤

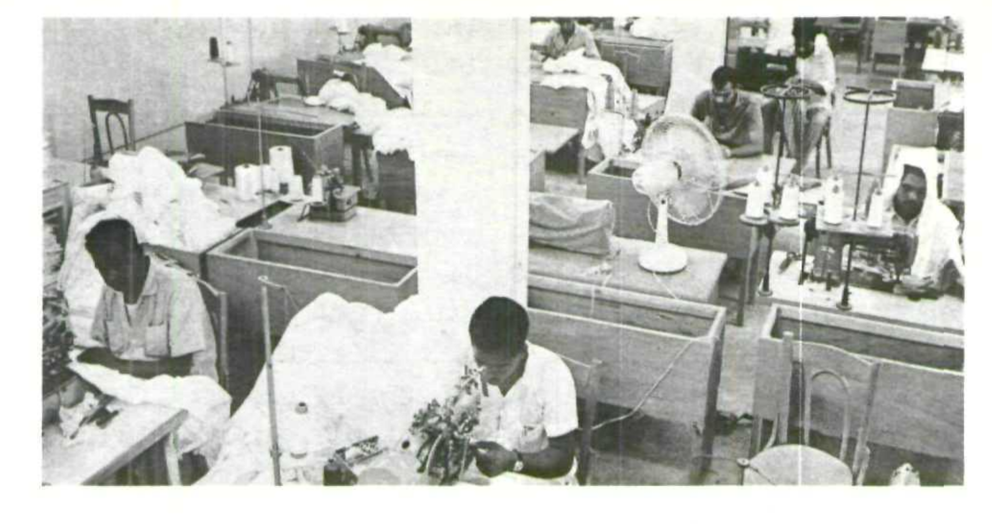
١ – التفصيل هو المرحلة الاولى في خياطة اللباس .

٢ – المقص الكهربائي يقص في ثوان طبقات عديدة من القماش تبعا للقياسات المطلوبة .

٣ – مكنة خياطة كهربائية تستطيع ان تعمل حوالي ٥٥٠٠ «غرزة» في الدقيقة الواحدة .

٤ – مكنة كهربائية حديثة لتثبيت الازرار .

منظر عام لجزء من اجزاء المصنع حيث يظهر العمال منهمكين في اعمالهم .



المسئول عن المبيعات والمستودع بالمصنع يقوم باحصاء المنتجات .



ثوب تقريبا في مدة لا تزيد على ستين دقيقة فقط . اما بقية المراحل التي تلي مرحلة تفصيل القماش فهي متعددة ، وتتم بواسطة آلات خاصة يعمل عليها عمال ماهرون ، يختص كل عدد منهم بخياطة جزء معين من اجزاء اللباس المطلوب .

اما المرحلة الاخيرة فهي تلك التي تجمع فيها اجزاء اللباس . وبعد الانتهاء من تزريره ، يكوى اللباس ، ثم يطوى بشكل مناسب ويوضع داخل غلاف شفاف يقيه من الغبار والاوساخ التي قد يتعرض لها قبل ان يصل الى يد المستهلك .

طاقة المصنع

توجد في المصنع في الوقت الحاضر ٤٠ مكنة خياطة كلها تعمل بالكهرباء . وهذه المكنات ذات طاقة عالية بحيث يمكن ان يصل عدد «الغرز» التي تصنعها المكنة الواحدة منها حوالي ٥٥٠٠ «غرزة» في الدقيقة .

وبواسطة المكنات الاربعين هذه الموجودة حاليا ، يستطيع المصنع انتاج حوالي ٣٠٠ قطعة من الالبسة المتنوعة في اليوم الواحد . ويتوقع المسئولون عن المصنع ان يصل الانتاج اليومي في غضون الاشهر الثلاثة القادمة ، الى حوالي ١٠٠٠ قطعة من الالبسة المتنوعة . وذلك بعدما يستكمل المصنع بقية مكنات الخياطة التي كان قد قرر شراءها .

موظفو المصنع

يعمل في المصنع في الوقت الحاضر ٢٥ موظفا من جنسيات متنوعة تبلغ نسبة السعوديين منهم حوالي ٦٠ في المائة من مجموع الموظفين . ومعظم هؤلاء السعوديين هم عمال يتدربون على العمل في المصنع ويتقاضون مرتباتهم منه ، وذلك لكي يقوم هؤلاء انفسهم بتدريب غيرهم من السعوديين الذين سيصل عددهم عند نهاية العام الحالي الى حوالي ٥٠ عاملا وموظفا .

فروع للتوزيع

وعلى الرغم من الاقبال الملموس على منتجات المصنع من جانب كثير من الشركات ، والمستشفيات الاهلية ، والمؤسسات ، وكذلك من المديرية العامة لمدارس البنات في المنطقة الشرقية التي اتفقت مع المصنع على صنع زي خاص (يونيفورم) لجميع المعلمات والطالبات في المدارس التابعة لها في المنطقة الشرقية .. غير ان المسئولين عن المصنع يفكرون في انشاء فروع لتوزيع منتجاته من الالبسة الجاهزة في كافة انحاء المملكة ، بادئين بالمنطقة الشرقية حيث مقر المصنع . فأنشئت مؤخرا فروع في كل من الدمام وبقيق والهفوف والجبيل . كما سيتم قريبا انشاء فروع اخرى في كل من الخبر ورحيمة ثم في مدينة الرياض التي ستكون نقطة الانطلاق نحو انشاء بقية الفروع في المنطقتين الوسطى والغربية من المملكة العربية السعودية ، وذلك حتى تصبح منتجات المصنع في متناول المستهلك العادي في كافة انحاء البلاد .. منتجات تضاهي مثيلاتها من الالبسة الجاهزة التي ترد من الخارج ، من حيث الجودة والاسعار .

(بقية المقال المنشور على الصفحة ٢)

تفجر السكان وموارد الطعام

ولكن ما تبدّى في العصر الحديث ، على اثر التقدم الخطير في الصحة العامة ، وعلوم الطب حمل الخبراء على العودة الى رسالة مالثوس ، ومن ثم توالت رسائل الانذار من علماء الاحياء وخبراء الزراعة والسكان ، محذرة من عواقب هذه الزيادة المتفاقمة ، ومن اضرار سوء استعمال الارض ، او اهمال العناية بها ، والتخوف من انجراف التربة ، على ما بين العالم فيرفيلد اوزيورن في كتابه «الكرة المنهوبة» ، واستنفاد الموارد الطبيعية التي تكونت في عصور جيولوجية سحيقة ، ولا يمكن تجديدها بعد ان تستنفد . هذا الرأي القاتم في مجمله ، تقابله أشعة من الضوء ، تحدّ من قتامه شيئا ما .

اولا — ثبت ان التحسين في اساليب الزراعة العلمية والتقنية (اي التزريع وهو لفظ اقترحه ليقابل التصنيع) يزيد مقدار انتاج الطعام زيادة مطردة . فقد اعلن في منظمة الطعام والزراعة العالمية منذ بضع سنوات، ان معدل انتاج الطعام، في اقرب فصلين متعاقبين ، قد سبق قليلا زيادة معدل السكان ولكن هذا لا يعني بحال ما ، ان شبح الجوع الكافر قد رد عن مئات الملايين من الناس ، الذين لا يكادون ينالون من الطعام المقدار الاقل الكافي لابقاء الرمق . ففي العالم مناطق شبع وفيض ، ومناطق قلة وفاقة . وزيادة الانتاج الزراعي لن تعين ، الا اذا وازنت الزيادة في عدد الناس ، وأضافت رويدا رويدا الى مقدار المتاح للجياع . ولكنه يعني ان التحسين في اساليب الزراعة والانتاج الزراعي جعل مقادير المحاصيل في تلك الفترة المحدودة مسايرة على الاقل لزيادة عدد السكان ، وأنه في الوسع ، اذا احسن النـــاس وحكامهم التصرف ، ان يوسعوا من نطاق معرفة هذه الاساليب ، والتدرب عليها وتطبيقها في البلاد المتخلفة زراعيا ، والمضي في زيادة الانتاج ومعدله .

ثانياً — اساس انتاج الطعام على الارض ، هو ذلك التفاعل الكيميائي العجيب الذي يتم في الورق الاخضر ، على الاكثر ، لتركيب المواد السكرية والنشوية الاولى — التي منها كل غذاء — من الكربون المنتزع من ثاني اكسيد الكربون والهيدروجين بفعل ضوء الشمس ووساطة اليخضور (الكلوروفيل) . فالورقة الخضراء هي اعظم معمل كيميائي لصنع الطعام على سطح الارض . وقد خطا العلماء في السنوات الاخيرة خطوات كبيرة الى فهم سر هذا التفاعل ، وربما الى محاكاته . فاذا فعلوا ، صار في وسعهم ان يصنعوا مقادير ، لا حدود لها ، من موارد الطعام او الغذاء الاساسية .

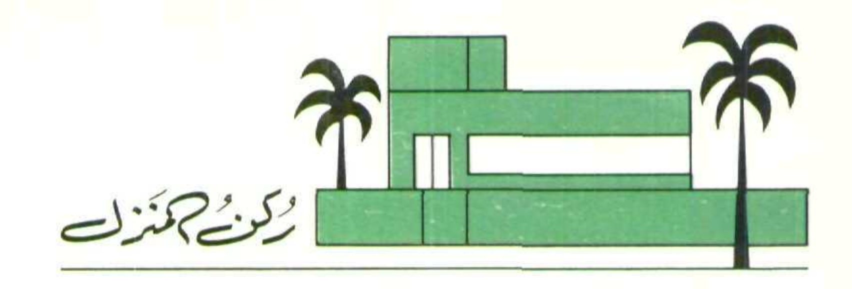
ثالثاً — لقد نشرت دراسات كثيرة ، عن الانتفاع بما يمكن انماؤه او استخراجه من موارد الغذاء في مياه البحار والمحيطات ، وهي تشير ، الى انه اذا تعاون العلم والاقدام الصناعي الزراعي على ذلك كان في الوسع انتاج مقادير من مواد الغذاء في بحار الارض ، تعدل في مقدارها ما ينتج منها على سطح الارض او تفوقه .

رابعاً — تربية الحيوانات والنباتات على الاصول العلمية الحديثة ، بحيث يختار منها للرعاية والاكثار ، على اساس التأصيل والانتخاب ، تلك الحيوانات والنبـــاتات التي تكون او يمكن ان تصير اغنى من غيرها مواد مغـــذية ، وأغزر انتاجاً .

خامساً — على شدة ازدحام اقطار كثيرة بالسكان ، فان هناك رقعا من سطح الارض لا تزال غير آهلة ، وبخاصة في استراليا ، وافريقية ، وسهوب آسيا الشمالية وقارة اميركا الجنوبية وغيرها . ويضربون على ذلك مثلا بالارض التي تحف بنهر الامازون (حوض الامازون) فمساحتها تبلغ جزءا من عشرين من مساحة اليابسة على سطح الارض ، وهي لا تزال ارضا بكرا ، وفي الحبشة ، نحو ١٨٠ مليون فدان من اخصب الارض لا تزال غير مزروعة ، وفي الولايات المتحدة نفسها ، احيل عشرون مليون فدان الى ما تواضعوا على وصفه بعنوان «مصرف التربة» كحل من الحلول المؤقتة لمشكلة الزيادة الضخمة في الانتاج الزراعي عندهم .

فاذا اجتمعت هذه العوامل وغيرها معـــا — كزيادة مقادير الاســـمدة النتراتية بتثبيت نتروجين الهواء تثبيتا كيميائيا — كانت في مجموعها الاساس الذي بنى عليه الاقتصادي البريطاني كولن كلارك قوله : ان اجدى الاساليب العلمية والتقنية المعروفة اليوم كفيلة باقامة الاود على المستوى الاوربي لثمانية وعشرين ألف مليون (اي ٢٨ مليارا) نسمة وهو على وجه التقريب عشرة اضعاف سكان الارض اليوم .

وعلى ذلك ، نرى انه حيال هذه الحقائق المفزعة عن سرعة تفاقم عدد سكان الارض ، او «تفجر السكان» كما يصفونها ، وخصائص هذه الزيادة وعلاقتها بموارد الطعام ، والعوامل المتداخلة في تقدير نتائجها ، نقف بين المتشائمين ، الذاهبين مع مالثوس الى انه لا مفر من مجاعة على نطاق عالمي ، والمتفائلين ، المجارين لكولن كلارك ، بأن المعرفة العلمية التقنية ، قادرة ، في نطاق النظر الفني على الاقل ، ان ترد شبح الكارثة . ولكن الفريقين متفقان على ان العالم في سباق ، رأسا برأس ، بين الزمن والكارثة او بين العلم وسرعة تنشئة القدرة البشرية على الانتفاع به نظرا وتطبيقا .



لذة المعرفة

بقلم (أم سامر)

عزيزتي القارئة :

ان لنفسك عليك حقا كبيرا . هو حق النمو الطبيعي ، حق المعرفة . فأين انت من هذا الحق ؟ هل انت امينة على ادائه . تستكشفين رحب آفاقه . وتختارين لنفسك الغذاء المفيد لتمسي كاملة العدة ، على اطلاع فيما يهمك من علوم العصر ؟

نعلم كلنا ان الجهل ظلام ، اوما جعل الله العلم ضرورة على عباده دون استثناء ؟

ان النصف القرن الاخير وضع بين ايدينا ثروة ضخمة من العلوم المختلفة التي يمكن اقتطاف الخير المنتقى منها لنسائنا : من تربوية ونفسية واجتماعية وجمالية . وكل ما يناط بنموهن العقلي . لنرفعهن بالتالي الى مصاف الراقيات من بنات جنسهن . ففي الحياة ، يا اختي ، لذائذ كثيرة ، وليست واحدة منها توازي لذة «المعرفة» — لذتك بأن تعرفي . وبأن يكون لك رأيك الخاص فلا تتعكزين على آراء سواك ، ضعفا وهزال ثقة . ولا اعني بقولي هذا تشجيعك على نكران الجميل والتمرد . فلآبائنا وأزواجنا علينا فضل الرعاية والوصاية . ولسنا لهذا الفضل بعقوقات . انما من حق الانسان التالي . رجلا كان او امرأة ، ان يخرج يوما من طور الوصاية الى طور الاستقلال الذاتي ، شرط ان يكون جديرا بهذا الاستقلال . مجهزا التجهيز الكافي لمجابهة الحياة . ويقيني ان هذا لا يجيء الا عن طريق العلم — عندما تفتح المرأة عينيها على رحابة آفاق المعرفة تنهل من ينابيعها في ترو وأناة ...

هنا نقف لنتساءل : اين تبدأ المرأة في تثقيف نفسها ؟

ان اول الطريق «بيتها» ، ثم «مجتمعها» ، فمتى صلح البيت . لا يبقى من خوف على المجتمع فهو يصلح نفسه بنفسه . خوفنا اذن على البيت العربي ورجاؤنا الاول ان يسوده النظام والسعادة . وهذا لعمري واجب المرأة . وانه لشرف ذا عظيم ... بيتك يا اختي . هو مملكتك الصغيرة ، وعليك الالمام بجملة شؤون هذه المملكة ، دون اللجوء الى الرجل الا عند الضرورة القصوى . اياك الاستهانة بأهمية ما عهد به اليك . انه لامر جلل يعجز حياله معظم الرجال ، رغم طول باعهم في المعرفة وتمرسهم في شتى الاعمال والمهن . ذلك ان وظيفة «ربة البيت» تحتاج لباقة وادارة وحسن دراية قل ان تتوفر في الرجل ولكنها تتجمع فطريا ، في المرأة ، ويضاعفها المران فتصبح تخصصا لا يجاريها فيه احد .

يبقى على المرأة ان تتعلم كيف تلم بادارة البيت ، اقتصاديا ، وتربويا ، وجماليا ، لتكون كفوءا للاضطلاع بمهمتها على اكمل وجه فلا يعيرها المعيرون ويرمونها بالتقصير والجهل . وليس كنجاحها في هذا المضمار دعامة ترفعها في عين الرجل وتعيد اليها كرامتها وثقتها بنفسها .

ماذا يتطلب البيت العربي الحديث من قوانين واصول في النظافة والترتيب والذوق ؟ كيف نربي اولادنا التربية الصالحة ، وهل تتفق طرقنا المتبعة ومبادىء التربية الحديثة ؟ ما هو النظام الذي نتمشى عليه في حياتنا اليومية ؟ هل ساعات يومنا موزعة بحكمة على واجبات المنزل الأهم فالمهم ، وأي قسط يصيب المطبخ ؟...

نحن اذن حيال مسؤولية جليلة ، وكلما تعمقت المرأة في العلم واتسع ادراكها استطاعت القبض على ناصية الامور والتوفيق بين واجباتها جميعا والنهوض باسرتها الى المستوى العصري اللائق .

جمال بشرتك

حديث الجمال يهم كل سيدة ، ليس فقط في مرحلة شبابها . بل ايضا في المراحل التالية عندما يجف ماء الشباب وتنضب حيويته الطبيعية ، ويمسي لزاما على المرأة مضاعفة جهودها للابقاء

على مظهرها الجذاب . والواقع ان المرأة بعد الثلاثين تحتاج اكثر من ذي قبل ، رعاية جمالها ومداراة نواحي ضعفه . ولعل ابرز ما يجب الالتفات اليه هو البشرة ، والمحافظة على نعومتها ونضارتها ورونقها — هنا يكمن سر جمال المرأة .

فيا اختي ، هل تشكين ثمة عيبا في بشرتك ؟ اليك هذه النصائح البسيطة :

اياك ، ان تأوي الى فراشك قبل ان تغسلي وجهك جيدا بالماء والصابون وبعد تنشيف وجهك برفق ادلكيه بـ « كولد كريم » اذا كانت بشرتك جافة . اما اذا كانت بشرتك زيتية فاسألي عن معجون خاص بذلك ... من المهم جدا ان تنامي نظيفة الوجه والعنق .

ثم هناك تنشيط الدورة الدموية لاستعادة رونق البشرة ولونها الوردي الطبيعي ، وهذا يأتي عن طريق تدليك الوجه بقطعة من الثلج لمدة خمس دقائق ، ثم تجفيفه بمنشفة حارة ، لان التمدد والانكماش على التوالي ضروريان لانتظام الدورة الدموية ، ولاعطائها لونها الطبيعي النضر .

واذا لاحظت ظهور بثور صغيرة على وجهك فعالجيها من الداخل ، وذلك بتناول ملعقة صغيرة من ملح الفواكه او زيت البرافين لتنظيف معدتك وحفظها لينة . اما العيوب التي تصيب البشرة كالزؤان والنمش والكلف وما شاكل ذلك ، فمن الخطورة جدا استعمال كل ما تصفه لك الجارة او الرفيقة . فكم من مشاكل ساءت وأصبحت في حالة من الادمان او التأخر ، نتيجة مسارعتنا الى استعمال دواء او معجون ، له نفع وقتي ، لكن عاقبته سيئة . فاياك ، اذن ، التساهل في قضية وجهك . وحذار ان تفرطي في استعمال المعاجين من كل اصل ونوع ، اسوة بالنسوة الجاهلات ... ولا ضرورة ، على اي حال ، لتعاطي اي نوع من المعاجين قبل الخامسة والثلاثين ، الا باشارة الطبيب المختص . هذه نصيحة ثمينة من اخت مخلصة ، فاقبليها على بساطتها .

الأطفال يعرفون

منذ سنوات عديدة شاعت الفكرة القائلة بأن الاطفال يجب ان يرضعوا كل ثلاث او اربع ساعات ، دون الاخذ بعين الاعتبار شعور الطفل بالجوع او عدم شعوره به . لقد اوصى الاطباء بالتزام نظام التوقيت لانهم لاحظوا ان الطفل ينمو نموا طبيعيا اذا نظمت مواعيد رضاعته ، ولكنهم لم يقصدوا ارغام الامهات على التقيد الشديد في تطبيق هذا النظام .

ان ترك الطفل يبكي بمرارة نصف ساعة لان موعد طعامه لم يحن بعد شيء قاس على الطفل وقد يسبب تعاسة للام كذلك ، كما ان اطعام الطفل لمجرد انه يبكي قد يجلب له وللأم متاعب كثيرة . فبكاؤه ربما كان لسبب آخر غير الجوع ، واتخامه ، عند ذلك ، بالمزيد من الطعام لا يسعده البتة . فعلى الام اذن ان تتبين بحكمتها متى يكون رضيعها بحاجة الى الطعام ، بعد الرجوع الى نصيحة الطبيب وأفضل ما ينصح به الاطباء ان يسمح للطفل بوضع النظام بمواعيد رضاعته ، بدلا من ان تحدد له المواعيد تحديدا الزاميا مصطنعا ، فهذا خير بكثير من ان نسبب للطفل تعاسة وللأم توترا في اعصابها .

في الاتيكيت

في المجتمعات كثير منا تصيبه الحيرة حيال آداب السلوك الواجب اتباعها . من ذلك تساؤلنا : متى تقف السيدة اذ تحيي ؟

الواقع ان المرأة الشرقية عامة تميل بسجيتها الى الوقوف عندما يقترب منها احد ليحييها ، لانها اعتادت على ذلك ، وتعتبر انه ضرب من اللياقة والتهذيب ان تؤدي واجب الاحترام نحو غيرها من الناس ، ولكنها تخشى ان ينظر اليها كمتأخرة رجعية التصرف . ولما كان علينا جميعا مراعاة الظروف والتنبه لشعور الآخرين ، لذا وجدنا انه من الافضل لمرأة ، عندما تقع في حيرة ، ان تنهض ، لان النهوض لا يؤلم احدا بينما عدم النهوض قد يجرح شعور الغير .

واليك الآن ، يا اختي ، بعض عادات الاتيكيت ، او آداب السلوك المتفق عليها بهذا الصدد ، ادبيا واجتماعيا :

١ — انهضي اذ تحيين ربة المنزل الذي انت بضيافته .

٢ — انهضي كلما استقبلت او ودعت ضيفا من ضيوفك .

٣ — وكلما عرفت بشخصية كبيرة ، عليك ان تنهضي للسلام ..

٤ — واذا كنت صغيرة السن ، فالافضل ان تقفي لتحية كل سيدة تكبرك سنا .

٥ — وأخيرا ، انهضي ، كلما وجدت في نهوضك معنى للاحترام ، او في ظروف تستوجب الاحترام .

طبق الشهر
الروستو بالخل

• احضري حوالي رطلين من اللحم الصافي من فخذ العجل ، ولفيها بخيطان قوية بحيث تأخذ شكلا اسطوانيا .

• قشري رأسا من الثوم وشكي اللحمة برأس السكين وغرزي حبات الثوم فيها ، ثم رشي على اللحم كمية مناسبة من الملح والفلفل والقرفة .

• حمري اللحم بملعقتين كبيرتين من السمن واستمري في تقليبها حتى تحمر جيدا . عندئذ اضيفي اليها مقدار كوب شاي من الخل واغمريها بالماء واتركيها تغلي على نار هادئة حتى تنضج الروستو ويبقى عليها قدر كوب ونصف من المرق .

• ارفعي الروستو من المرق واعقديه بملعقة كبيرة او اكثر من الطحين الابيض ، وقدمي الصلصة حارة الى جانب الروستو بعد ان تحلي خيوطها وتقطعيها اقمارا متساوية الكثافة .

• قدمي مع الروستو والصلصة بطاطا مقلية او « بيريه » ، وبازيلا او لوبية مسلوقة ومذبلة بالزبدة .

الصفحة الضاحكة

عِيادة الموت

اراد أحد الاطباء ان يعلن عن المقر الجديد لعيادته ، فعهد الى أحد الخطاطين أن يكتب على الجدران الاعلان التالي : «زوروا عيادة الدكتور أحمد في شارع رقم ٥» . وكان من بين الاماكن التي كتب عليها هذا الاعلان جدار احدى المقابر . وصادف ان قرأه أحد الظرفاء فأضاف اليه «حتى تضمنوا الوصول الى هنا بسهولة» .

عَبْقَرِيَّة

التلميذ الاول : لقد قدمت ورقة الامتحان بيضاء .
التلميذ الثاني : وأنا ايضا .
التلميذ الاول : ماذا تقول ؟ الآن ستعتقد اللجنة ان أحدنا قد غش من الآخر .

صَرَاحَة

كتب جندي الى خطيبته يقول : اننا نقوم بمناورات هذه الأيام ، وفي الليلة الماضية نمت في سيارة النقل بين «أنيزا» و «أدنا» واستمتعت بالدفء والراحة . ولم تكن خطيبته تعرف أن «أنيزا» و «أدنا» قريتان بل ظنتهما امرأتين فكتبت اليه تقول : انني سأنام هذه الليلة مع جورج ، لقد تزوجنا مساء أمس .

قُوّة احْتِمَال

تشاجرت الزوجة مع زوجها في نهاية الاسبوع الاول من زواجهما ، فقالت له وهي تعيره بأنفه الضخم المشوه :
– ألا يكفي انني احتملت انفك هذا اسبوعا كاملا ؟؟
فرد عليها زوجها في برود :
– طبعا لا .. فقد احتملته أنا ثلاثين عاما !

اقْتِصَاد

البخيل : كم يكلفني خلع الضرس ؟
الطبيب : يكلفك ثمن ابرة التخدير فقط ، أما خلع الضرس فهو بالمجان .
البخيل : اذن أرجو ان تخلع ضرسي بدون تخدير .

مَنْطِق !

المجنون (في مستشفى المجاذيب) : نحن نحبك يا دكتور أكثر من الدكتور الذي كان قبلك .
الدكتور (مبتهجا) : شكرا .. ولكن ما السبب ؟
المجنون : لأننا نشعر أنك واحد منا .

مَعَهُ حَقّ

– ارجو ان تقرأ لي هذا الخطاب .
– آسف لا أستطيع القراءة نهارا .
– لماذا .. ؟
– لأني تعلمت في مدرسة ليلية .

لا يحتاج الى مساعدة

المدرس : لمن تدعو وانت تصلي .. ؟
التلميذ : ادعو لوالدتي .
المدرس : ووالدك .. ؟
التلميذ : والدي محام يستطيع الدفاع عن نفسه .

وجْهَة نَظَر

القاضي : لماذا سرقت السيارة .. ؟
المتهم : انا لم أسرقها .. ولكنني وجدتها قرب المقبرة فظننت ان صاحبها قد مات .

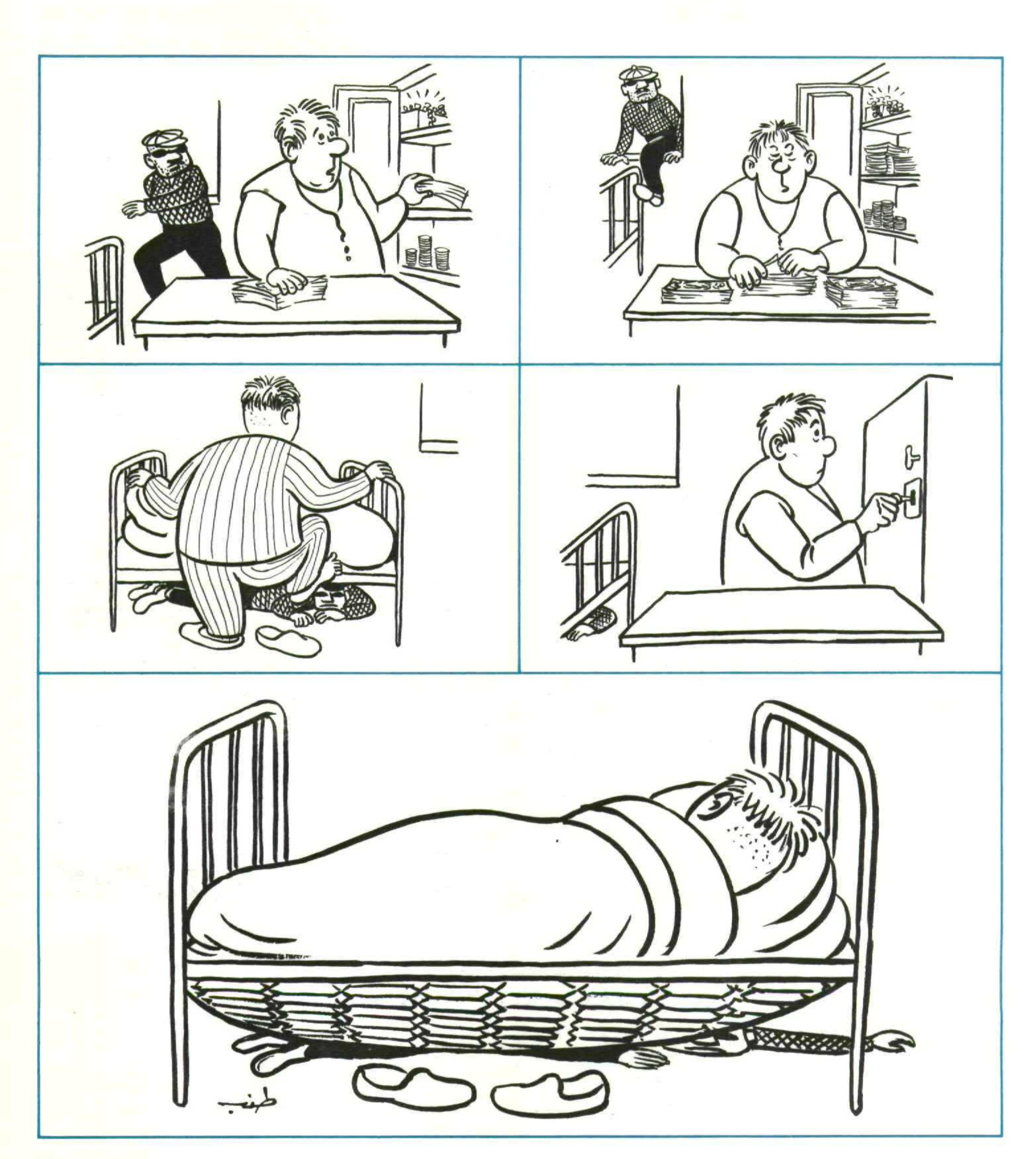
مَعْقُول

الطفل – ماما .. أرجو ان تأخذي معك بعض الحلوى عندما نخرج للنزهة .
الأم – لماذا .. ؟
الطفل – لكي تسكتينني بها اذا بكيت ! !

مُسَاوَمَة

المسافر – كم ثمن التذكرة الى الاحساء ؟
بائع تذاكر القطار – خمسة ريالات .
المسافر – لا .. بأربعة ريالات ونصف فقط ، والا فسأشتريها من الشباك الثاني !

جمعها القارئان عبد الرحمن العبد الله السويد واحمد عبد الله المغلوث .



(بقية المقال المنشور على الصفحة ٤)

العقاد ذكرى وتقدير

يعرفون سوء رأيه في شوقي فقال انه يعرف من محاسن شعر شوقي ما لا يعلمه اشد انصاره تحمسا .

وكان العقاد واسع الصدر في المناقشة على خلاف ما يظنه الكثيرون ، ولكن على شريطة ان يكون مناقشه جادا في مناقشته مخلصا في جدله ، يحسن اختيار الحجج ويجيد ادب الحوار ، فاذا بدرت منه بادرة تنم على شيء من الزراية والاستخفاف فهنا تثور ثورة العقاد التي لا تبقي ولا تذر ، ولذلك كان يحسن بمن يتصدى لمناقشة العقاد ان يكون عالما بطباعه عارفا بشدة حساسيته من ناحية كرامته الشخصية ومكانته الادبية ، ولم يكن عند العقاد على ما عرف عنه من الكبرياء وفرط الاعتداد بالنفس مانع من تصحيح ما قد يتورط فيه من الاخطاء في الادب والتاريخ اذا نوقش بالطريقة التي لا تجرح كرامته ولا تنال من ابائه ، وقد عهدت فيه هذه الخليقة خلال معرفتي الطويلة له ، وأذكر اني قبل موته بأشهر قرأت له في اليوميات التي كان يكتبها في جريدة الاخبار يوم الاربعاء من كل اسبوع كلمة عن الناقد الالماني الشهير لسنج ورد فيها انه كان يهوديا ، ولما كنت اعلم ان لسنج كان مسيحيا قحا لذلك اغتنمت فرصة زيارتي له في ندوة يوم الجمعة التالي وقلت له ان مبلغ علمي ان لسنج من اصل الماني مسيحي ، واحتكمنا الى دائرة المعارف اليهودية ، وكان ضمن ما ورد بها ان لسنج كان يميل الى اليهود ، واقتنع الاستاذ الكبير ، وصحح ذلك في يوميات الاسبوع التالي ، وكان للكرامة الشخصية شأن كبير في حياة العقاد ، ولكن هذا الرجل الشديد الاباء القوي الحرص على كرامته كان مع ذلك موطأ الأكتاف لاصدقائه ، وفيّا لهم ، حفيا بهم ، عرفته وهو محرر بجريدة الاهالي يتقاضى مرتبا لا يتجاوز خمسة عشر جنيها في الشهر وعرفته وهو كاتب الوفد الاول في اوج قوته ، وقد استطارت شهرته ، وذاع ادبه في الشرق والغرب ، وصادقه رؤساء الوزارات وكبار الاعيان ، وتوطدت مكانته ، فلم يتغير لاحد من اصدقائه عما كان عليه ، لانه كان كبيرا بنفسه وهمته وذكائه وعلمه وعبقريته لا بالمكانة التي نالها بجده والجاه الذي ظفر به باستحقاق وحدهما .

وقد كان في العقاد حدس الشاعر ورهافة حسه ودقة ملاحظة العالم وقدرته على التحليل والتعليل وعمق الفيلسوف ونفاذ نظراته وسعة احاطته وكان العقاد يلتزم القصد في حياته ويتحرى الاعتدال فيعيش في كتبه ومطالعاته ولكنه مع ذلك لا ينسى نصيبه من الدنيا ولكن في غير اسراف ، وكان حريصا على حياته وصحفه ووقته ولم يكن بخيلا بماله ، ولكنه كذلك لم يكن متلافا مبذرا ، وقد استطاع بقوة الارادة وحسن التدبير ان يتغلب على الامراض التي ساورته في مطالع حياته ، وكان يعتز بلغته ودينه وعروبته ولكن مع ذلك كان واسع الافق انساني النظرة ، يكتب عن غاندي ويشيد به ، كما يكتب عن عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق ، ويعجب بالزعيم الصيني سان ياتسن كما يعجب بمحمد فريد وسعد زغلول ويكتب عن عبقرية محمد كما يكتب عن عبقرية المسيح ، فهو كما يقول البحتري في سينيته :

وتراني من بعد أكلف بالأشراف طرّا من كل سنح وأسّ

وكان يسيطر على حياته العقل والاعتدال والحكمة مع العاطفة الصادقة وهو القائل :

كن بالخوالج حيا فالحجى جدث ... لربه ووقار الحلم أكفان

وكان يؤمن بالحياة والعظمة والبطولة ، ويشك في الذين ينتقصون مواقف الابطال ويسفهون احلامهم ، ويحيطون بواعثهم بالريب ، او يردونها الى التماس المصلحة الشخصية وطلب المجد الذاتي .

ولا نزاع في ان فقد العقاد خسارة جسيمة للمشرق العربي والعالم لان الانسانية لا تجود كثيرا بأمثاله من نوادر الرجال ، وهذه الخسارة مضاعفة بالنسبة لاصدقائه الذين نعموا بمودته ، واستظلوا بلوائه ، وأفادوا من احاديثه ، وكان لهم دائما الصديق المأمون الغيب الناصح الحبيب ، ولعلهم ، يجدون شيئا من العزاء في الشعر المنسوب الى احد من كان يعجب بهم العقاد ويكبرهم وهو الامام علي في قوله :

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الممات قليل
وان افتقادي فاطما بعد أحمد ... دليل على ان لا يدوم خليل

وقد مات العقاد الميتة التي كان يتمناها ، فكثيرا ما كنت اسمعه يقول انه لا يخشى الموت وانما يخشى طول المرض ، وجمود الحركة ، ويتمنى الموت الوحيّ ، فجاءه الموت متسللا دون ان يشهر في وجهه سلاحا او يطيل له رقادا رحمه الله وأجزل مثوبته .

اجوبة حاول ان تجيب

— ١ —

أ — ٢٥٠ بئرا .
ب — ١٩ بئرا .
ج — ٩ آبار .

— ٢ —

أ — ٣٦ قدما .
ب — ٤١ قدما .
ج — ٣٤ قدما .

— ٣ —

أ — بحر قزوين — ويعتبر بحيرة حسب التعريف الجغرافي — (١٥٢ ٢٣٩ ميلا مربعا) .
بحيرة سوبيريور — بين كندا والولايات المتحدة — (٣١ ٨٢٠ ميلا مربعا) .
بحيرة فكتوريا بأفريقيا (٢٦ ٨٢٨ ميلا مربعا) .

ب — نهر النيل (٤١٥٧ ميلا) .
نهر الامازون (٣٩١٢ ميلا) .
نهر المسيسبي (٣٨٦٠ ميلا) .

ج — آنجل (٣٢٨١ قدما) ، فنزويلا .
توجيلا (٣٠٠٠ قدم) ، جنوب افريقيا .
كوكينام (٢٠٠٠ قدم) ، غيانا البريطانية .

— ٤ —

أ — البحتري .
ب — احمد شوقي .
ج — ابو الطيب المتنبي .







الحركة الأدبية في العالم العربي

• صدر في بيروت كتاب «عودة الغائب» للشاعر المهجري الكبير الاستاذ الياس فرحات وهو سجل لخواطر الشاعر بعد عودته الى الوطن الام الذي غاب عنه نصف قرن ، وتصوير لما ارتسم في ذهنه ونفسه من مشاعر عند لقائه بأصدقائه وزملائه بعد هذا الدهر الطويل . وما زال الشاعر فرحات يحن من البرازيل – حيث يقيم – الى مراتع طفولته ومنازل صباه ويتنسم اخبار الادب والفكر في العالم العربي بشوق ونهم وينسج كل ذلك شعرا مطربا معجبا .

• كتاب ضخم عن «منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته» ظهر للمفكر العراقي الدكتور علي الوردي ، ناقش فيه آراء الباحثين الذين درسوا ابن خلدون ، وتحدث عن مستقبل علم الاجتماع الذي كان ابن خلدون من اعلامه الرواد . هذا وقد صدرت في البرازيل ترجمة كاملة لمقدمة ابن خلدون باللغة البرتغالية قام بها الاستاذ يوسف الخوري والسيدة قرينته واستغرق انجازها اربعين سنة . وجاءت الترجمة في ثلاثة اجزاء ضخمة .

• «نبض الوجدان» عنوان الديوان الاخير لشاعر العراق الكبير الاستاذ حافظ جميل . وقد صدر ديوانان عراقيان آخران هما «مرفأ الذكريات» للاستاذ هلال ناجي و «الاشواق الحائرة» للاستاذ سلمان هادي الطعمة .

• طبعة ثانية مزيدة منقحة من كتاب «جريدة الاهرام : تاريخ وفن» للدكتور ابرهيم عبده ظهرت اخيرا وفيها عرض لتاريخ هذه الجريدة منذ انشائها الى اليوم ، وهي مدة تسعين عاماً .

• في الادب القصصي ظهرت الكتب التالية : «الصبر طيب» وهو مجموعة اقاصيص للأستاذ احمد لطفي ، و «أقصر طريق» اقاصيص للاستاذ سعد حامد ، و «مغامرات روبن هود» تأليف هوارد بايل وترجمة الاديبة سامية محمود اسماعيل ، و «الوردة الحمراء» و «صديقة الاحراج» وهما مجموعتان قصصيتان للاستاذ اميل يوسف عواد ، و «كتاب العجائب» وهو اساطير من تأليف ناثانيل هوثورن وترجمة الدكتورة سهير القلماوي ، و «يقظة روح» للاديب الراحل صلاح ذهني ، و «مختارات من القصص البرازيلي» ترجمة الاستاذ نخلة ورد وتقديم الاستاذ شاكر مصطفى .

• الدكتور محمد جمال الدين الفندي ترجم الى العربية كتاب «قصة الفيزياء» من تأليف جورج جاموف كما ترجم الاستاذ اسماعيل حقي كتاب «بزوغ العقل البشري» لنورمان بريل .

• ومن الكتب العلمية المبسطة التي ظهرت اخيرا «صراع مع الميكروب» للدكتور محمد رشاد الطوبي ، و «الطبيب معالجا وعالما» تأليف دانا و. اتشلي وترجمة الاستاذ زكريا فهمي وتقديم الدكتور محمد كامل حسين ، و «المادة والجزيئات والذرات» لبرتا موريس باركر وترجمة الاستاذ عمر كامل الوكيل ، و «عالم النبات» لبرتا باركر واللا بود ندورف وترجمة الاستاذ مراد فهمي .

• في باب التراجم والسير ظهر كتاب «رشيد رضا الامام المجاهد» للدكتور ابرهيم احمد العدوي . والطبعة الثانية لكتاب «جابر بن حيان» للدكتور زكي نجيب محمود و «دعبل بن علي الخزاعي» للدكتور عبد الكريم الاشتر .

• كذلك صدر في دمشق كتاب «احمد شاكر الكرمي» يشتمل على ترجمة لحياته وآثاره باشراف نجله الاستاذ عبد الكريم الكرمي وهو شاعر يعرف بكنيته «ابو سلمى» . وقدم لهذا الكتاب الاستاذ فؤاد الشايب .

• الدكتور علي الراعي اصدر كتابا عنوانه «دراسات في الرواية العصرية» حلل فيه الآثار الروائية للدكتور محمد حسين هيكل باشا ، وعباس محمود العقاد ، ومحمود تيمور ، وتوفيق الحكيم ، ويحيى حقي ، ونجيب محفوظ وغيرهم .

• اخرج الدكتور عبد الكريم اليافي بحثا عنوانه «الشموع والقناديل في الشعر العربي» وهو محاولة لدراسة الشعر من زاوية جديدة .

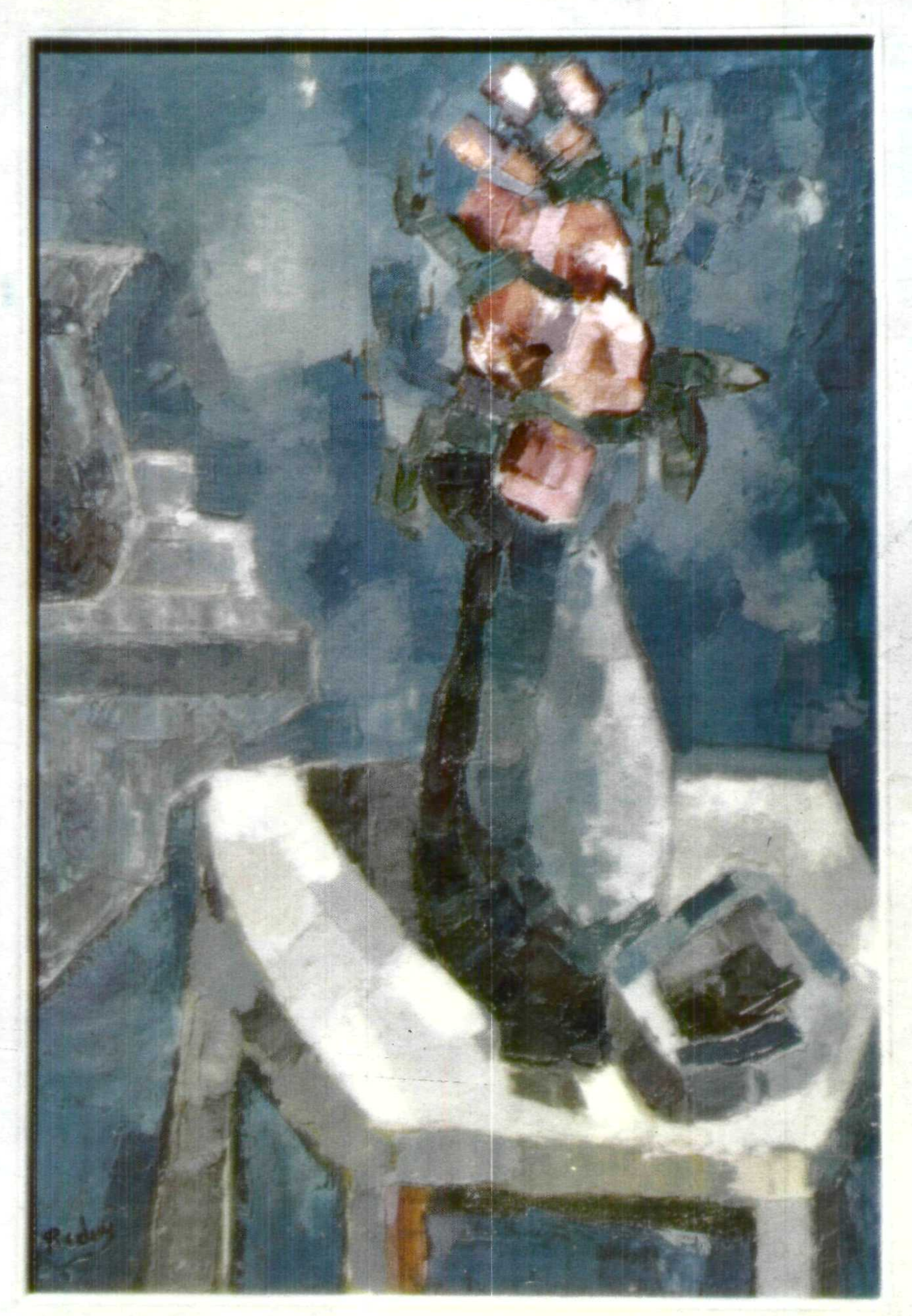
• من الكتب التربوية التي ترجمت اخيرا «الاشراف في التربية الرياضية» تأليف ليمبول وايلز وكميل برون وروزالند كاسيدي وترجمة الدكتور زكي ابرهيم الحبشي والاستاذ مصطفى كمال الحلفاوي ومراجعة الاستاذ عبد الفتاح لطفي وتقديم الاستاذ محمد علي حافظ ، و «عندما يواجه المعلمون انفسهم» تأليف ارثر ت. جيرسلد وترجمة الدكتور محمد علي العريان ، و «تقويم التلميذ وتقدمه» تأليف جون روثني وترجمة الدكتور محمد نسيم رأفت ومراجعة الاستاذ محمد السيد روحة وتقديم الاستاذ محمد علي حافظ .

• الاديب الراحل الاستاذ محمد علي الحوماني ظهر له بعد وفاته كتاب «المآسي» يسجل فيه قصة الفلسفة والدمع والالم .

• عن «فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة» وضع الدكتور محمد علي أبو ريان كتابا جديدا .

• من المترجمات الحديثة ما يلي : «منشأ الفكر الحديث» للدكتور كرين برينتون وترجمة الاستاذ عبد الرحمن مراد و «الامم المتحدة وكيف تعمل» لهارولد كورلاندر وترجمة الاستاذ عبد الفتاح المنياوي و «الكربون المشع» ترجمة الاستاذ زكريا البرادعي وهو يتناول ظاهرة الاشعاع وكيف يستعان بها في قياس اعمال الآثار والحفائر .

• كتاب يتناول ظرائف قانونية اشترك في تأليفه طائفة من المشتغلين بالقانون وحرره وليم م. دافنبوت ، ظهرت له ترجمة باللغة العربية اشترك في اعدادها الاساتذة حسن الجداوي وحفني سليمان ومحمد عمر وعبد الرؤوف عز الدين وسليم عبد القادر ومحمد منيب ومحمود حماد الحسيني ، وأشرف على الترجمة وقدم لها الاستاذ حسن جلال العروسي ، وعنوان الكتاب «أصداء المحكمة» .



لوحة زيتية للفنان السعودي عبدالحليم رضوي